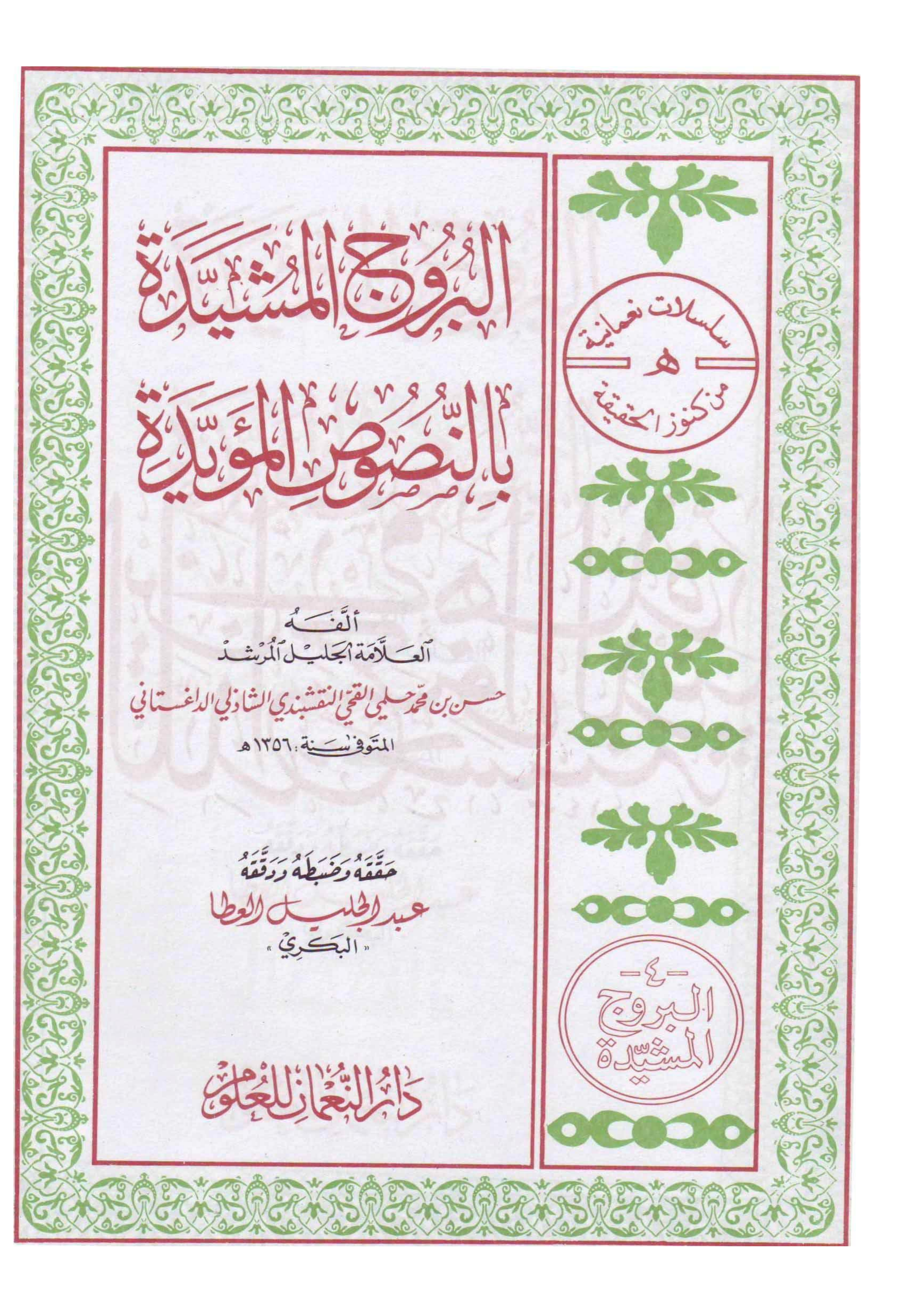
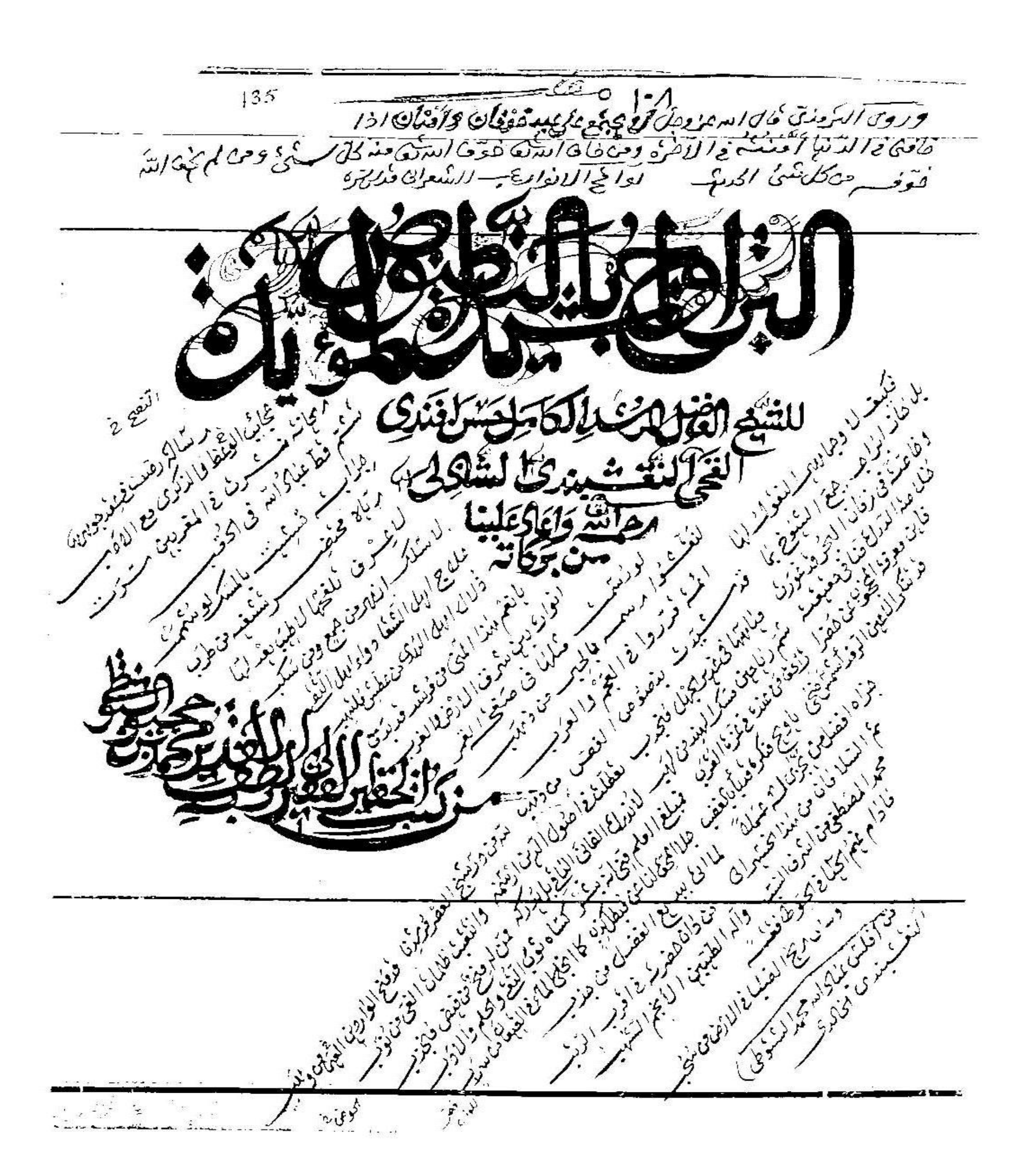


البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة

ألفه
العلامة الجليل المرشد
حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة: ١٣٥٦ هـ

حققه وضبطه ودققه
عبد الجليل العطا
« البكري »

دار النعمان للعلوم



135

للشيخ الفاضل المرشد الكامل حسن أفندي

الفحم النقشبندي الشاذلي

رحمه الله وأعاد علينا

من بركاته

نموذج العنوان من الأصل (ص)



سلسلة الطريقة النقشبندية في داغستان
محمد صلى الله عليه وسلم
ابو بكر الصديق
سلمان الفارسي
قاسم بن محمد
جعفر الصادق
طيفور
ابو يزيد البسطامي
ابو الحسن
الخرقاني
ابو علي
الفارمادي
يوسف
الهمداني
عبد الخالق
الغجدواني
عارف
الريوكري
محمود
الانجير فغنوي
علي
الراميتني
محمد بابا
السماسي
سيد امير الكلالي
محمد النقشبندي
بهاء الدين البخاري
علاء الدين
العطار
يعقوب
الچرخي
عبيد الله
السمرقندي
محمد زاهد
الوخشوري
درويش محمد
الامكنكي
خواجكي الامكنكي
محمد الباقي
احمد الفاروق
محمد معصوم
الفاروقي
سيف الدين
الفاروقي
نور محمد
البدايوني
حبيب الله
عبد الله
الدهلوي
خالد شاه
البغدادي
اسماعيل
الكردميري
محمد صالح
الشرواني
ابراهيم
يونس
محمود افندي
جبرائيل افندي
عبد الرحمن حاج
حسن حلمي افندي
محمد يعسوب
حميد افندي
حسين محمد افندي
محمد عارف افندي
محمد سعد حاج البقاني
عبد الحميد افندي
حمزة افندي
محمد افندي النجار
سعيد افندي
قدس الله اسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم آمين
اللهم اجمعنا معهم واحينا معهم واحشرنا معهم وادخلنا معهم في الجنان برحمتك يا ارحم الراحمين

البروج المشيدة
بالنصوص المؤيدة

للشيخ الفاضل والمرشد الكامل
حسن افندي الفحى النقشبندي
الشاذلي رحمه الله تعالى واعاد علينا من بركاته

سنة ١٣٥٦

أنموذج العنوان من الأصل (ج)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التكلان

الحمد لله الذي افاض على قلوب اوليائه واصفيائه انوار
المعرفة واصطفاهم من بين خلقه بالمواصلة والمشاهدة فاستنارت
بانوار علومهم ومعارفهم صدور الخليقة وهدى بهم ارباب
السلوك الى معرفة منازل الطريقة ومراتب الحقيقة فلولاهم
ما سلك احد من تلك السبل فجاجها ولا قوم سالكوها من ضلع
النفوس اعوجاجها والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
يغترف الخاص والعام من فيض بحره ويقتطف الكل من روض
مواهب واثمار اشجار اسراره ومعارفه وعلى اله واصحابه صلاة
وسلاما تعدلان صلاة وسلام جميع اهل محبته دائمين بدوام ملكه
وكلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون امين اما بعد
فيقول العبد المذنب الراجي الى مغفرة الله سبحانه حسن حلمي
ولد العالم الحاج محمد الفحي النقشبندي الشاذلي سامحه الله تعالى من فرطاته
وسلك به مسلك اوليائه آمين قد ورد الي اسئلة من طرف العالم
القاضي محمد البرجي فحمدت الله تعالى على وجود مثله في عصري وشكرته
على الهامه

أنموذج الصحيفة الأولى من الأصل (ج)

بسم الله الرحمن الرجيم

وبه نستيعن وعليه التكلان

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أوليائه وأصفيائه أنوار المعرفة، واصطفاهم من بين خلقه بالمواصلة والمشاهدة، فاستنارت بأنوار علومهم ومعارفهم صدور الخليقة، وهدى بهم أرباب السلوك إلى معرفة منازل الطريقة ومراتب الحقيقة، فلولاهم ما سلك أحد من تلك السبل فجاجها، ولا قوم، سالكها من ضلع النفوس اعوجاجها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي يغترف الخاص والعام من فيض بحره , ويقتطف الكل من روض مواهبه وأثمار أشجار أسراره ومعارفه، وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً تعدلان صلاة وسلام جميع أهل محبته؛ دائمين بدوام ملكه وكلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. آمين .

أما بعد ؛ فيقول العبد المذنب الراجي إلى مغفرة الله سبحانه حسن حلمي؛ ولد العالم الحاج محمد القَحِيّ النقشبندي الشاذلي – سامحه الله تعالى من فرطاته، وسلك به مسلك أوليائه؛ آمين:

قد ورد إليّ أسئلة من طرف العالم القاضي محمد البرجي، فحمدت الله تعالى على وجود مثله في عصري، وشكرته تعالى على إلهامه إياه أن يسأل تلك المسائل التي كانت متوطنة في صدري منذ زمان، لأنها كانت مشكلة لدى كل من ليس له نصيب من علم الباطن، فكانت المسائل تتضمن مسائل أخرى مشكلة أيضا لا بد من انجلائها والجواب عنها، فاحتجنا لأجله لجمع كتاب يشتمل على مباحث مستقل، وأجوبة منقولة من كتب متعددة، فلما كانت المسائل واردة من رجل برجي، وكانت الأجوبة المؤيدة مشيدة بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف والأئمة، أردت أن أرتِّب الكتاب على بروج، وأن أسمّيه ب:

"البروج المشيدة بالنصوص المؤيده"

جعله الله تعالى نافعا للعباد، ولا جعله سببا للعناد. آمين.

وقد وقع فيه التكرار في مواضع نادرة ليكون سببا لفهم الكلام، أو لوقوع الحاجة ليوافق المرام على مقتضى المقام, لما أن في كل موضع فائدة, مستقلة، ولكل مقام حكمة مستبدة ويكفيك مافي القرآن من التكرار كمثل قصص موسى عليه السلام وأرجو من كل ناظر أن يصلح مارأى فيه من الخطأ والتحريف ، ومعلوم أن الإنسان ولو بالغ في التصحيح فقل أن يسلم من الخطأ. والتصحيف ، ولا ينبغي لمنصف أن يسارع إلى العتاب إلا بعد إحكام الفكر من اول الكتاب إلى آخره فإني قد حررت ما فات في مسألة في موضع آخر مع بيان فائدة زائدة, ومن رأى فيه خللا أو أشكل منه شيئا! فأسأله بالله سبحانه أن يراجع به لدي ما دمت حيّاً لأوضح له العبارة وأحل المشكلة، فإن صاحب الكلام أعلم بمراده من غيره، وقد بيّنت فيه مآخذ ونقولاً في كل جواب مع وضع تاريخ الصحيفة مما عندي من الكتب، وإن وجدت فيه موضعاً ذكرت فيه قولاً ما من عند نفسي فاعلم أن غالب كلامي مقتبس من كلام السادات ، ومنتخب من شعاع نور الشريعة والطريقة، نقلته بالمعنى؛ لما أني نسيت لفظه و لم أتذكر في الحال موضعه، وان كان المعنى راسخاً في القلب ومحفوظاً فيه، وذلك ليس إلا نادراً كما ستراه إن شاء الله تعالى.

ثم اعلم أن تد وين الكتاب – وإن وقع السائل لذلك سبباً أولاً – لكن قد ذكرت فيه أشياء مهمة لا بد لسالكي طريق القوم من رعايتها والعمل بها، وغالب مافيه كالسلّم لهم للارتقاء إلى سطوح المعارف والمرجو منهم أن يدعوا لهذا المفلس بالمغفرة والوقوف على حد الاستقامة والله وليُّ التوفيق، وله الحمد على كل حال وفي كل حين، ومنه نطلب العون للدخول في دائرة التحقيق.

وقد بيّنت الكتاب علي هذه البروج الآتية:

البرج الأوّل: في جواب مسألة: لازم واحدٌ عبادة الله تعالى جمعة وجماعة، ذكراً وتلاوةً، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً و لم يأخذه. من شيخ، فهل يكون سعيه عبثاً؟ ومايقوله أهل التصوف مِن أن كل مَن لم يتخذ شيخا فشيخه الشيطان، فيحبط عمله و سعيه عبث، أهو حق أم لا؟ فإن كان حقا فما معني قوله تعالى: (إنّا لا نضيع أجر المحسنين)؟ و قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) الآية؟

البرج الثاني: في جواب مسألة ذلك السائل بقوله: فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره و شره؛ و لو مثقال ذرة، فما معني تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ؟!

البرج الثالث: في جواب مسألة: فهل يكون الفرق بين مَن له شيخ و بين غيره في الخوف من سوء الخاتمة؟

البرج الرابع: في بيان درجات شوائب الرياء، و الآفات المكدِّرة للإخلاص

البرج الخامس: فى بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم .

البرج السادس: فى بيان أن الصحابة – رضي الله عنهم – هم السادات القادات، و أنهم هم النجوم و مَن اقتدى بهم اهتدى و من خرج عن سبيلهم ارتدى و أنما وقع بينهم إنما وقع بالإجتهاد؛ لا حقداً و لا حسداً، و لا حباً للرياسة و علوِّ الدرجة.

البرج السابع: فى بيان ما ورد فى التلقين وما يترتب عليه من الفوئد المهمة .

البرج الثامن: فى بيان أفضلية علماء الباهن على غيرهم .

البرج التاسع: فى بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر، ووجوب تعلُّم علم الباطن، وبيان من يقول به .

البرج العاشر: فى بيان غرور علماء الظاهر .

البرج الحادى عشر: فى بيان جواب مسألة السائل: بأنّ المريدين يزعمون بعضهم بعضا وينكرون شيخ بعضهم، ويكون بينهم التحاسد والتعارض، والحقد والسبُّ والاستهزاء، فإذا كان الأمر كذلك؟ يغلب على الظن فما فائدة اتخاذ الشيخ؟ فلم أر أستاذا أو مريدا لا يهجو آخر!

البرج الثانى عشر : فى بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقين من المشايخ، وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأ هل والإذن عصيان.

البرج الثالث عشر: فى جواب مسألة حاصله هذ: وكان أبو الحسن الشاذلي يقول: من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاء من دون الله. اه. وكان يقول أيضا: من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق . فإذا كان الأمر كذلك ! فماذا يطلبه المريد من استاذه؟ و ما فائدة الإتخاذ؟

البرج الرابع عشر: فى بيان جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء .

البرج الخامس عشر: فى بيان أن الإنكار على الصوفيّة سم قاتل .

البرج السادس عشر:فى بيان .الطرق المشهورة فى الديار الداغستانية و ذكرها بالإجمال.

البرج السابع عشر: فى ذكراوصاف الشيخ وعدم كون المجذوب المجرَّد مرشداً
البرج الثامن عشر: في بيان أن الشيخ الكامل فى قومه كالنبي فى أمته، وأن متابعته كمتابعته لكونه نائباً عنه صلى الله عليه و سلم، و بيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون لله لا لغرض سواه.

البرج التاسع عشر: فى بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في اسر محبة الدنيا، ومدح العلماه الزهاد الذين يرغبون عن الدنيا .

البرج العشرون: فى ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات.

البرج الحادي و العشرون :فى ذكر معاتبة النفس وتوبيخها .

خاتمة: في ذكر أدعية منقولة من كتب الأئمة الصوفية .

تذنيب : فى ذكر مكفرات الذنوب، والأحزاب النافعة لتفريج الكروب، وذكر سندها وسند اشياخنا فى العلوم الظاهرة والباطنة .

فها أنا ذكرت البروج المذكورة بالتفصيل مع الأجوبة لكل مسألة، مؤيّدة بالمآخذ الصحيحة والأقوال المريحة من كتب الأئمة فقلت حامدا لله تعالى:

البرج الأول

في جواب مسألة: لازم واحدٌ عبادة الله تعالى جمعة وجماعة، ذكرًا وتلاوة واتخذ من عند نفسه وِردا صباحا ومساء و لم يأخذه من شيخ، فهل يكون سعيه عبثا؟ وما يقوله أهل التصوف من أن كل من لم يتخذ له شيخاً فشيخه الشيطان فيحبط عمله، وسعيه عبث، أهو حق أم لا؟ فإن كان حقا! فما معنى قوله تعالى: (إنا لا نضيع أجر المحصنين)، وقوله تعالي: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) الاية؟!

فنقول وبالله التوفيق، ومنه نستعين وبه نستمد، وباسمه نتبرك، ولله الحمد والمنة:

إن من أخلص في ذكره وعبادته لا يكون سعيه عبثأ؟ وإن لم يأخذه من شيخ، بيد أن السالك بنفسه لايهتدي كثيراً إلى إخلاص العمل من الشوائب المحبطة له، بل يرى أنه أحق بالثواب بعمله وينجو به من عقابه، وينسى غالباً فضل الله ورحمته, ولا يعلم المسكين أن كثيرا من أعماله يكون سببا للعقاب! لرؤيته عمله و أنه مخلص فيه, وإعجابه بما عمله وشهوده أنه خير ممن لا يعمل, والحال أن بعض العارفين قد قال: *من رأي في إخلاصه إخلاصا يحتاج إخلاصه إلى إخلاص*. كما سيأتي.

ثواب الأعمال بالنيات لا بمجرد الأعمال

ومن المعلوم أن ترتب الثواب على العمل منوط بالإخلاص فيه, و"إنما الأعمال بالنيات" كما ورد, أي : إنما ثواب الأعمال بالنيات، لا بمجرد الأعمال! وأن مقصود أهل الله لايكون إلا العبودية المحضة، وطلب الثواب عندهم كعبادة الأصنام الحسية علي حد سواء، كما ذكره الشعراني في "لطائف المنن" و "لواقح الأنوار". فحسنات الأبرار سيئات المقربين . انتهى .

والسالك الذي سلك في طريق الذكر والرياضة بنغسه قد لا يتنبه إلى دقائق الرياء، فإنه أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء، ويقع في المهالك أحيانا، ويكون له في كل مقام من مقامات السالكين عمل خاص بذلك المقام لايجوز الإنتقال إلى غير، وإن انتقل يحصل له التنزل وينقنع عن الترقي، "و الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، كما ورد، فيجتهد في إغواء العبد وإضلاله وتكون نفسه الأمّارة معينة له، فيرى القبيح حسناً فيعمله، والحسن قبيحاً فيمنعه منه بإلقاء الوساوس، فحينئذ يبقى بلا وصول ويجرّه الشيطان إلى سبيله؟ فيكون شيخاً له يتصرف فيه كيف يشاء، ويركب عنقه كما يركب الحمار.

وقد قيل : **الرياضة بلا شيخ لا تورث إلا الوسوسة والجزبرة.**

وفي "الفجر المنير": وكان – يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه – يقول: من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم. اه 21.

وفي "الإحياء": فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبل الدين غامضة، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه

قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سلك سبل البوادي بغير خفير فقد خطر بنفسه وأهلكها. اه. 183وما قيل: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان!! حق ثابت في كتب أهل التصوف، ك"رسالة" الإمام القشيري و"الإتحاف شرح الإحياء" وغيرهما .

وعلة إحباط عمل مَن ليس له شيخ! عدم خلوصه غالباً من شوائب المحبطات التي هي سبل الشيطان وطرقه، **والعمل الذي لا إخلاص فيه لا يكون حسنا يثاب عليه** . وسيأتي في البرج الثاني ما يؤيده، ومعلوم مشهور أن سلوك الطريق لا يكون إلا بالذكر وتكراره، كما هو مذكور في الكتب .

وقد قال صاحب "رماح حزب الرحيم": إن الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى – الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله – هو المأخوذ بالإذن والتلقين من شيخ وارث واصل مرشد؛ تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية، لا ما يأخذه الإنسان بنفسه! فراجعه في الفصل السابع والعشرين في 180ج 1.

وقال – قدس سره – بعد ذلك: اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيخ أو عن شيخ غيرمفتوح عليه عارفٍ هلاكُ صاحبه أقرب من سلامته، لا سيما أسماء الله تعالى. قال الشيخ أحمد بن المبارك: و سمعته يعي: عبد العزيزرضي الله عنه – يتكلم على الذين يذكرون أسماء الله تعالى فى أورادهم؛ فقال – رضي الله عنه – : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم، وإن أخذوها عن غير عارفٍ ضرَّتهم، فقلت: فما! لسبب في ذلك؟ فقال – رضي الله – : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنراو الحق سبحانه، فإذا أردت أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان وأنت تذكره! لم يضرَّك،وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان! حضر الشيطان وتسبب فى ضرر العبد، والشيخ إذا كان عارفا وهو فى حضرة الحق دائماً واراد أن يعطي اسماً من أسماء الله تعالى الحسنى أعطاه ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه، فيذكره المريد ولا يضر. ثم النفع به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها،فإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها، أو بنية إدراك الآخرة أدركها، أوبنية معرة الله تعالى أدركها، وأما إن كان الشيخ الذي يلقن الاسم محجوبا! فإنه يعطي مجرد الاسم من غير نور حاجب فيها، فيهلك المريد، نسأل الله تعالى السلامة. اه.

وقال شيخنا – رضي الله عنه وأرضاه وعنا به – : فعلى العبد ملازمتها، أي: الأحكام التكليفية المتفرقة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية – والدؤوب على ما يقدر عليه

منها؟ بدوام معانقة الذكر معها ونعني بالذكر: الذي يكون بتلقين شيخ واصل : لا الذي يأخذه العبد باختياره! مع دوام الاستناد بالقلب إلى شيخ واصل، فإن بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن يناله السر الرباني بسببه يصل إلى التطهير الأكبر المذكور أولا، الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات: المعبَّر عنه في الإشارة عن الله تعالى يقال عنه: من كشفتُ له عن صفاتي ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب؛ وهذا العطب هو غاية منتهى الأرب ومنتهى مطلب العبد، فإن هذا العطب هو محل الاستهلاك في الحق، حيث يسلب العبد من أوصافه البشرية، ويلبس خلعة الاتصاف بالأوصاف الربانية. انتهى ما أردنا نقله من كلامه رضي الله عنه وعنّا بِه.

وقال فى "تحفة الإخوان والخلان" الخامس – يعني: من أصول التقوى الحقيقية – دوام الذكر الذي لقنه له شيخه لا يتجاوزه إلى غيره: إلا بإنه، إلا الأوراد المخصوصة بطريق شيخه.

ثم قال بعد كلام: ومنها – أي: من الآداب التي تطلب من المريد في حق الشيخ – ملازمة الورد الذي رتبه فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه، فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد، وهيهات أن يصح في الطريق!!

ثم قال بعد كلام: ومنها – يعني: ومن الآداب التي تتعلق بالمريد في نفسه أن يأخذ بالأجود في العبادة، فلا ينتظر بذكره وعبادته ثوابا و لا فتحا، وإنما يعبد الله تعالى إلى أن قال: لكنه لا يشتغل إلا بأوراد الطريق وما اذن له فيه الشيخ. اه.

وقال السيد محمد الغوث – رضي الله عنه في (جواهره): فذكر العامة: كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات، والذكر الخاص:من يكون بتلقين شيخ مرشد؛ عارف بأدواء النفوس يكون أقوى في إرالة الحجب عند الملازت عن قلب حاضر. اه.

وقال في كتاب "التطورات": اعلم أن الصدر مملوء ومحشوٌّ بالأخلاق الظلمانية التي تظهر بها من بني آدم الآثار الخبيثة فلا بد له أن يزكي صدره بأخذ التلقين من الشيخ الكامل حتى يدخل في طور القلب الذي هو مستعد للتزين بالأخلاق الحميدة والأنوار المشروحة بحسب الإستعداد، وإليه اشار رب العزة بقوله **"قد افلح من زكاها"** ومن دخل فيه بالخلاء – أي: البراءة – عن الأخلاق الذميمة بواسطة التوحيد الجهري يرى شجرة التوحيد نورا مملوءاً بأغصان الأثمار في العَلَم الإنساني بحسب الاستعداد، ثم يرى السماء مصفّىً أو مملوءاً بالنجوم، والقمر

صافيا عن السحاب المعنوي، ويرى البساتين والجبال مع العيون وغير ذلك، فلا بدَّ للسالك في وقت الطلب أن يتقي الله تعالى بالتجرد عن الأخلاق الذميمة حتى يتزيَّن قلبه بهذه المذكورات من أنوار ذاته الغيبية، ويفني بعض أفعاله في نور أفعال الله تعالى، فيظهرمنه آثارالأخلاق الحميدة كالتسليم والتفويض وغيرها في طريقه بالنظر إلى بعض المشارب، ويرى بنظره وتوجهه إلى مرآته ماذا كسب من الاستعداد إلى القيامة الوسطى، أعني: فناء صفاته في نور صفات الله تعالى – إلى القيامة الكبرى؛ وهي: الفناء في الله بحسب الاستعداد، وإليه أشار رب العزة بقوله **"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد و اتقو الله"** و اعلم أن هذا النداء للمؤمنين الطالبين؟ الداخلين في طريق الله تعالى لأجل مشاهدة أنوار الأفعال والصفات وغيرهما بأخذ التلقين من الشيخ المؤذون إلى أن ينتهي إلى محمد صلى الله عليه و سلم اه.

وقال في "الخلاصة المرضية" قال الشيخ جبريل الخرمابادي (رحمه الله تعالى): وههنا أصل أصيل يجب رعايته، **فإن الذكر بدون وعايته لا يوصل إلى المقصود؟ وإن كان لا يخلو عن فائدة؛** وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النَّبوية، فإن الذكر الذي بدون تلقين مثل النشَّاب الذي يشتري من صانعه، و مثل الذكر الذي يأخذ بتلقين يأخذ من السلطان فإنهما و إن تساويا في النشابية و دفع الخصم؛ و لكن أين نشّاب النَّبَّال من نشاب السلطان في الناس و الواقع و حماية صاحبه و ولايته و كل من يتعلق به! والله تعالى أعلم. اه.

فائدة التلقين

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في "الإبريز": إن شيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ (رضي الله عنه) سئل وهو حاضر عن فائدة تلقين الورد الذي يعطيه الأشياخ؟ فقال (رضي الله عنه) للسائل: تسألني عن الصادقين، أو عن الكاذبين؟ فقال: عن الصادقين. فقال (رضي الله عنه): فائدته أن الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن، و أن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى أن المريد إذا قال: لا إله إلا الله، قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل، و الشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحق تعالى، فإذا لقّن المريد! صارت حالته في المريد، ولا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ: إن قدَّر الله تعالى ذلك، ثم ضرب مثلاً حكاية عجيبة في د واء ولد الملك بترك اللحم.

حكاية عجيبة في دواء ولد الملك بترك اللحم

فقد وقعت لملك له ولد عزيز عليه، ثم نزل به ضرر عظيم، فجمع الأطباء لدواء ولده و توعَّدهم بوعد شديد إن لم يبرؤا ولده، فاتفق الأطباء على أن دواء ولده في عدم أكل اللحم، فذكروا ذلك للولد فأبى عليه و قال: لا أترك اللحم و لو خرجت روحي في هذه الساعة! فحار الأطباء و دهشوا في أمرهم، و نزل بهم ما لا يطيقونه، حيث امتنع الولد عن اتباع سبب الشفاء.

و ألحّوا عليه المرة بعد المرة، فلم يزده ذلك إلا نفوراً، فذهب رجل منهم و اغتسل و تضرَّع إلى الله تعالى، و نوى أن لا يأكل اللحم ما دام المريض لا يأكله، ثم جاء إلى المريض فقال له: لا تأكل اللحم. فامتثل أمره، وسمع قوله، و برئ لحينه، فتعجب بقية الأطباء من ذلك! فأخبرهم بما فعل.

قال (رضي الله عنه): و أيضاً فإن أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتاً طاهرةً قابلةً لحمل سرهم مطيقة له، فإنهم لا يزالون معها بالتربية بتلقين الذكر و غيره، و يكون هذا المطيق للسر هو مقصودَ الشيخ لا غير، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممن ليس بمطيق و طلب منه التلقين فإنه لا يمتنع، لأنه لايقطع على أحد.

صفة لواء الحمد

فلذا تجد الشيوخ يلقِّنون كلَّ أحد؛ مطيقاً كان أم لا، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة؛ و ذلك أنه (ص) يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد و هو نور الإيمان. اه.

قال الإمام أبو الحسن علي الصعدي العدوي في "حاشية على الخرشي": ذكر ابن مسعود (رضي الله عنه) أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله (ص) عن صفة لواء الحمد! فقال: "طوله ألف سنة و ست مائة سنة، من ياقوتة حمراء، و قضيبه من فضة بيضاء، و زجُّه من زمرُّدة خضراء، له ثلاث ذوائب؛ ذؤابة بالمشرق، و ذؤابة بالمغرب، و ذؤابة وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأول بسم الله الرحمن الرحيم، و الثاني الحمد لله رب العالمين، و الثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله، طول كل سطر مسيرة ألف عام"، قال: صدقت يا محمد. ذكره الشهاب في "شرح الشفاء". انتهي.

للأولياء ألوية و أتباع

ثم قال الشيخ عبد العزيز بن مسعود: و جميع الخلائق خلفه من أمته و من غير أمته مع سائر الأنبياء، و تكون كل أمة تحت لواء نبيها، و لواءُ نبيها يستمدّ من لواء النبي (ص)، و هم مع أممهم على أحد كتفيه و أمته المطهرة على الكتف الآخر، و فيها الأولياء بعدد الأنبياء، و لهم ألوِيَةٌ مثل ما للأنبياء، و لهم من الأتباع مثل ما للأنبياء، و يستمدون من النبي (ص)، و يستمد أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فالمريد إذا لم يكن مطيقا فإنه ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقّنه، قال (رضي الله عنه): و لا ينتفع منه بمجرد التلقين فقط و مطلق تلفظه بالذكر حتى يتعلّم منه كيفية الإيمان بالله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله، و ينتفع منه بعض النفع في الباطن.

قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في "حامع الأصول": إن السالك مبتليً بنفسه، فإذا عمل وحده! ربما ظفر منه الشيطان بخيالات و أوهام، وعقائد فاسدة، و أفكار كاسدة، و كسل و مكر، و حيل و زندقة و استدراج و غيرها؛ و يوهمه أن ذلك من الأحوال و الأصول و هو لا يدري، لا سيما المبتدئ! فإنه يشوش عليه هذه الحالة، فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة و عقبات الطريق و توقفه.

و أما التلقين و سنده! فلما كانت الصحبة من لوازمه و شروطه، و كان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين و التعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلي شيخ صاحب طريق و هو إلى النبي (ص)، و كان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين و الإذن، بل جعله الأكثر شرطا، و كان الشيخ في الدين مقدَّم النَّسب على الأب في الطين كما قال بعضهم:

نسبٌ أقربُ في شرع الهوي بيننا من نسب من أبوَيّ

مطلب: لا بد من مرشد حسي أو معنوي

و كان السالك لا بد له من مرشد حسّي كالشيخ، أو معنوي كالإلهام و حسن التفقُّه في الكتاب و السنة و إجماع الأمة، مع التيقظ و الاعتبار في التفكر بمساعدة التوقف، و اللطف و العناية، أو يغنيه الله تعالى عن ذلك كله بمنح من فضله، و جذبة بها يصل من غير مشقة، وجب ذكرُ الأسانيد في كل طريق إلى الرسول (ص).

و اعلم أن مَن لا يعرف آباءه و أجداده في الطريق فهو مطرود، و كلامه دعوى غير مقبولة؛ و ربما انتسب إلى غير أبيه، و قد أجمع السلف كلهم على أن مَن لم يصح له نسب القوم و لا أذن في أن يجلس للناس، لا يجوز له التصدُّر إلى إرشاد الناس، و لا أن يأخذ عليهم عهداً، و لا أن يلقِّنهم ذكراً و لا شيئاً من الطريق، إذ السر في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهم غير معدود منهم. انتهي 21.

و قد نري الخيط الممدود الحسي، و الحديد المسلسل المسمي بلغتنا بِتِل كيف يسمع النداء إذا تكلم بوضع الفم عنده من بعيد، و هكذا يكون أمر المريد إذا أخذ الورد من الشيخ! يحصل بين قلبه و قلبه خط نوراني إلى قلب رسول الله (ص) فيحصل منه المدد، و أما إذا ترك المريد ذلك الوردَ! ينقطع المدد، كما ينقطع الخبر إذا انقطع خيط التِّيل المحسوس، و بطل استعداده، و انقطع عليه الطريق و رجع القهقري؛ فقد قال صاحب "غرائب القرآن" ما نصه: فإن الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول التصرّف دجاجة الولاية فيه و خروج الفرخ فيها، فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا، فإذا تصرف الدجاجة فيها و انقطع تصرفها عنها بإفساد البيضة! فلا ينفعها التصرُّف بعد ذلك لفساد الاستعداد؛ و لذا قالت المشايخ: مرتدُّ الطريقة شرٌّ من مرتد الشريعة. اه. فراجعه من سورة المؤمنين.

و في"الصاوي" ما حاصله: مَن زلَّ به القدم في عهد شيخه فنقضه؛ فإنه مطرود عن طريقه، و متى طرد عن طريقه فقد سلب ما وهبه الله تعالى من النور الإلهي، فلا يرجى به الفتح في طريقة أخرى، لأن غاية الطرق واحدة، و هو قد طرد عن الغاية. انتهى فراجعه في سورة النحل.

نقض العهد

و فيه أيضا: فالشيخ المتمسِّك بشرع رسول الله (ص) القائمُ بحقوق الله و حقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتِّباعه، و نقض عهده إمّا كفر! إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد و غيره، أو ضلال مبين! إذا قصد عدم الالتزام بأوراده. و أما من خالف الشرع و اتبع هوى نفسه! فالواجب نقض عهده، لأن مَن لا عهد له مع الله لا عهد له مع خلقه. انتهى. فراجعه.

و قد أوردنا طرفاً من هذا القبيل في تأليفاتنا، و اكتفينا هنا بهذا القدر اليسير، فينبغي للمريد ان يلازم على ما أمره شيخه، **فإن حفظَ العهد و الاشتغالَ بالورد إقبال على الله تعالى**، و نقضه و ترك الورد إعراض عنه، و مَن أعرض عن الله أعرض عنه، و العياذ بالله و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. فافهم! فإنه مهم لمن له اهتمام. و في شرح "تائية السلوك" : من شرط الذكر النافع أن يأخذه المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذ الصحابة (رضي الله عنهم) من رسول الله (ص). وفيه: و مَن لم يكم له شيخ فالشيطان شيخه، لأن النفس التي هي مريدة الشيطان كثيرة التلبيس عظيمة التدليس، توهم العبد أنه صادق؛ وهو كاذب، و أنه موفٍ بعهده و هو ناكث، و أنه زاهد و هو راغب، و إنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يلقي إليه قياده، أو فقيه يستفتيه في سائر أموره؛ أو صاحب ناصح، فالشيخ أدلّ دليل، و عليه عند القوم التعويل، فمن استضاء به فاهتدى، ومن ضل عنه ارتدى؛ على حد ما قيل:

من لَم يكن خلف الدليل　　　كثرت عليه طرائق الأوهام

و قال آخر:

لا تسلكنَّ طريقاً لست تعرفها　　　بلا دليل فتهوي في مهاويها

فلا بدَّ للمريد من شيخ كامل يقتدي بآثاره، و يهتدي بهديه و أنواره، فإنه واسطة الخير، و الوسيلة إلى المنع من الضير. انتهى.

و في "الصاوي" ما نصه: فلا بد فيها – يعني: في الاذكار من الشيخ العارف، و إلا! دخل الشيطان و لم ينتفع صاحبها. انتهى راجعه من سورة الأحزاب.

وفي "الصاوي": فالذكر أفضل الأعمال، و هو المقصود من تلاوة القرآن و من الصلاة، و لذلك ورد عن الجنيد أنه يأتيه العصاة يريدون التوبة فيلقِّنهم الذكر، و يأمرهم بالإكثارمنه، فتنوَّر قلوبهم. فراجعه.

و في "الفتاوى العمرية": إن قلت: إني لا أتخذ شيخا، بل أطالع كتب الشرع و التصوف، و أتعلَّم غوائل النفس و أمراض القلب و علاجها قلت: نعم، و لكن اشتغالك بالذكر و الفكر و نفي الخواطر ساعةً خيرٌلك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة.

قال حضرة خواجه شاه نقشبند (قدس سره الأمجد): أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود، و إن كان الصلاة و الصيام طريقاً إلى الله تعالى! لكن لا يتم الوصول إلا بنفي الوجود، و قد قيل: وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر. فلذلك كان السالك يجد من المدد في الذكر ما لا يجده في الصوم و الصلاة، فلا تلتفت أيها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض و الواجبات و الرواتب، و اجتهد لقطع علائق القلب و الفناء إن كنت تريد الوصول إلى المقصود.

و قال أبو يزيد البسطامي (قدس سره السامي): جلسة خير من ألف حجة: أي: الجلوس ساعة متفكراً في عظمة الله تعالى، منقطعاً عن سائر الخواطر، خير من حجة في غفلة، لأنه ربما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب التفكر، و أما الأخير؛ فكالحمار يحمل أسفاراً يذهب إلى الحج و يرجع، و لا يتفكر في شيء من عظمة الله تعالى و وعده و وعيده، و لا يتخلَّص عن الأخلاق الذميمة. إن قلت: فهل لا يمكن الذكر و لفكر بلا اتخاذ شيخ و استاذ؟

التسليم للشيخ تسليم لله

قلت: نعم، يمكن إن تعلَّمتَ آدابه و أركانه و أصوله، و لكن لا تقطع المسافة الروحانية! كمثل مَن ركب الرّحي يظن أنه قطع بسيره و مروره مسافة كثيرة مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى و عيناه مستورتان، فبركة اليد الصحيحة كثيرة، و نفع صاحب النسبة وفيرة، فلا بُدّ لطالب النجاة و مريد الفوز و السعادة أن يتمسَّك بأذيال المشايخ من أهل الطريق، لقد فاز مَن كان له شيخ يرشده، و خسر مَن لم يتخذ له شيخاً، فلا بُدَّ لطالب من شيخ أديب كامل و أستاذ حاذق؛ يبصِّره بعيوب نفسه، و آفات النفوس، و فساد الأعمال، و مداخلَ الصدر، و ينصحه نصيحة الأب بلا غرض و لا عوض، فإذا و جد مثل هذا فليلازمه و ليصحبه و ليتأدَّب بآدابه، ليسريَ من باطنه إلى باطنه حالٌ قويٌّ؛ كسراج من سراج، و ينسلخ من إرادة نفسه بالكلية، فإن التسليم له تسليم لله و لرسوله، لأن سلسلة التسليم تنتهي إلى رسول الله و إلى الله تعالى على مقتضى: "من يطع الرسول فقد أطاع الله" (روح البيان) اه.

هذا ما عندي في هذا البحث، و لعل الأخ البرجي (أدخله الله في الحصن المنجي من آفات النفس و الهوى) يرضى بهذا القدر اليسير، و قد ذكرنا نبذة منه بالتفصيل في "تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين"، و كذا بسطنا الكلام في حقه في "خلاصة الآداب لمن أراد

فتح الأبواب"، فمن راجع إليها يجني ثمار المعارف، و الله الموفق للسداد، و منه نستمد و هو ولي الرشاد.

البرج الثاني

في جواب مسألة ذلك السائل بقوله: فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره و شره و لو مثقال ذرّة، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ؟! و ما الفرق بين من له شيخ و من لا؛ في ذلك؟

فنقول و بالله الإعانة و التوفيق: الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى الذي يمشي بنفسه في الفلاة التي فيها سبع و أُسد و حيّات و عقاريب و غيرها من المضرات، و بين الذي يمشي خلف البصير الذي يعلم مواضع الهلكة ليحترز منها، و يعلم الطريق الذي ليس فيه شيء منها، و الحال أن في يده سلاحاً جيداً يمنع من ضرها لو لقيها فجأة، و مما لا يخفى على العاقل أن الأعمى الذي ليس له قائد قد يقع كثيراً في مواضع الهلكة فيهلك فيها، و لا يصل إلى المقصود فيحبط سعيه و عمله، بخلاف مَن يمشي خلف الدليل و القائد! و هكذا يكون الفرق بين مَن سلك بنفسه، و من سلك بأخذ التلقين من شيخه، فإن الغالب على العامي أن لا يخلُص عمله من شوائب المحبطات، فالعمل الذي ليس فيه إخلاص لا يعدُّ من الحسنات حتى يثاب عليه فاعله، بل يعاقب عليه؛ و يقال له يوم القيامة: خذ أجرك ممن عملت له. كما هو مذكور في الأحاديث، بخلاف السالك! و قوله تعالى "**لئن أشركت لَيَحبطنَّ عملك**" شاهدُ عدل لذلك، فافهم.

و قد قال بعض العارفين ما معناه: يصل السالك بصحبة واحدة مع الشيخ إلى ما لا يصله برياضته وحده ألف سنة. انتهى. و ذلك لأن الشيخ يتصرف فيه بتوجُّهه، فيزيل منه الحجاب الذي هو سبب لإحباط عمله، و من هنا قال الإمام الرباني في بعض مكاتبه: و يعمل توجههم الواحد عمل مئة من الأربعين. كما هو مذكور في "الدرر المكونات". فراجعه.

و في "لطائف المنن" للشعراني: النظر إلى وجه الولي ساعة واحدة على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة. فراجعه من الجزء الأول.

و في "الصاوي": حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل واحد. فراجعه في سورة الفرقان.

و في "غرائب القرآن" في تأويل قوله تعالي "أو صديقكم": إن درج الجنات ينالها المرء ببركة الجليس الصالح، وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق؛ فينال به مرتبة لم يصل إليها بمجرَّد أعماله. فراجعه في سورة النور.

و أيضا: إن السالك بنفسه قد يتخذ ورده وسيلة إلى المقصود، و لا يفعله غالباً عبوديةً محضة، و هذا مما يمنع من الفتح، أو يبقى في طريقه زمناً طويلا.

و قد قال الشعراني: و قد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي وسائل إلى تحصيل أغراض، فإن حصلت تلك الأغراض! ثبتُّ على ذلك، وإلاّ! تحوّلت منه، فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي: اجعل أعمالك كلها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى، و لا تتخذها وسائل فتموت؛ و لا تصلُ إلى المقصود، فقرَّبوا عليّ الطريق، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة! لكان فيها كفاية. انتهى. من "لطائف المنن" 149.

و قال الشعراني أيضاً فيه: و مراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلو المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح، أو بعضه لا غير، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم، أو صلى، أو صام، أو حج، أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الإخلاص، أو تحبط العمل. انتهى.

و من المعلوم أن الإنسان منذ صباه ناظر إلى الخلف، مشحون بالرياء، مداوم على التزّين و التصنع، حتى أنه لو رأى على أنفه و وجهه نقطة سوداء! يسرع في إزالتها لئلا يراه الناس مع هذه النقطة، و قد صارت هذه الحالة عادة له فصعب عليه تركها بنفسه، فكيف؛ و قد قال بعض العارفين: فِطام العادة أصعب من فِطام الرضاع!!

العوائد قطاع الطريق

و قالوا: العوائد قُطَّاع على طريق البرية؛ يقطعون الطريق على كل سالك. كما ذكره الشعراني في "المنن" في 284 ج 2. فإذا كان الأمر كذلك؛ و كان الرياء أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء لا يعرف وقائعه إلا البصير الناقد، و كان العمل المشوب به محبطاً لثوابه بالنصوص، و كان سيما الرياء غالباً على كل من ليس له شيخ كامل! جاز تخصيص الإحباط بمَنْ لم يتخذ له الشيخ في الطريق، لأن الحكم يبنى على الغالب الأكثر كما قالوا. و اعلم أيها الأخ العالم محمد دبر البرجي – رزقك الله تعالى التوفيق و الاستقامة آمين – أن أحسن حال مَن ليس له شيخ يريه طرقَ الإخلاص – أن يعبده لأجل الجنة و الفوز بالثواب و الدرجة العالية، والحال أن العارفين ينفرون من أهل الآخرة كما ينفرون من أهل الدنيا. كما هو مذكور في "الرشحات"، و قد قال الغزالي في "الإحياء": العامل لأجل الجنة – عامل لبطنه و فرجه. و قال الشعراني في "لواقح الأنوار": و من لم يسلك على يد شيخ فهو عبد الثواب حتى يموت لا يتخلّص منه أبدا، فهو كالأجير السوء الذي لا يعمل شيئا حتى يقول لك: قل لي كم تعطيني قبل أن أتعب؟! فأَيْنَ هو ممّن تقول له اِفعل كذا و أنا أعطيك كذا و كذا!! فيقول: و الله ما قصدي

إلا أن أكون من جملة عبيدك، أوْ أن أكون تحت نظرك، أو أكون من خدمك لا غير! أليس إذا اطَّلعت على صدقه تقرِّبه و تعطيه فوق ما كان يأمل لشرف همّته؟! بخلاف من شارطك! فإنه يثقل عليك، و تعرف أنت خسّة أصله و قلة مروءته، ثم بعد ذلك تعطيه أجرته و تصرفه عن حضرتك، و ربما انصرف هو قبل أن تصرفه أنت لعدم رابطة المحبة التي بينك و بينه؛ فما أقبل إليك إلا لأجرته، فلما وصلت إليه ولّى و نسيك، و لا هكذا مَن يخدمك محبة فيك. فاعلم ذلك.

و سمِعتُ سيدي عليًّا الخواص إذا صلى نفلاً يقول: أصلي ركعتين من نِعَمِ الله عليّ في هذا الوقت، فكان (رضي الله عنه) يرى نفس الركعتين من عين النعمة؛ لا شكراً لنعمة أخرى، فقلت له في ذلك! فقال: و من أين يكون لمثلي أن يقف بين يدي الله عز و ل؟ و الله إني لأكاد أن أذوب خجلاً و حياءً من الله لما أتعاطاه من سوء الأدب معه حال خطابه في الصلاة، فإن أمهات آداب خطابه تعالى مائة ألف أدب! ما أظن أني عملت بها بعشرة آداب، فأنا إذا وقفت بين يديه في صلاة أو غيرها من العبادات إلى العقوبة أقرب، فكيف أطلب الثواب؟!

مطلب

و سمعتُه مرة أخرى يقول: يجب على العبد أن يستقلَّ عبادته في جانب الربوبية؛ و لو عَبَد ربّه عبادة الثقلين! بل و لو عبد هذه العبادة على الجمر من ابتداء الدنيا إلى انتهائها ما أدّى شكر نعمةِ إذنه له بالوقوف بين يديه في الصلاة لحظة، وَ لو غافلاَ! و كذلك ينبغي له إذا قلّت طاعاته أن يرى مثله لا يستحق ذلك القليل، و من شهد هذا المشهد حُفِظ من العجب في أعماله، و حفظ من القنوط من رحمة الله تعالى. اه. من "العهود المحمدية" 402 راجعه من هامش "المنن" من الجزء الأول.

مطلب

و قال في "لطائف المنن": ومما منَّ الله تبارك و تعالى به عليّ: عدمُ طلبي الثواب من الله تبارك و تعالى على شيء من الأعمال التي أبرزها عز و جل على شيء من جوارحي؛ إلا من باب المنة و الفضل، لعلمي بأن نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك و تعالى إلا لنا، لأنه غنيّ عن العالمين، فمن الأدب طلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة، إظهاراً للفاقة و الحاجة، و من لم يطلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة؛ إظهاراً للفاقة و الحاجة، و من لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الأدب للإظهاره الغنى عن فضل ربه جل و علا. فافهم.

وَ قَد شَنَّع (و شنعت عليه الأمر: نسبته إلى الشناعة. "مصباح". (هامش الأصل) العارفون (رضي الله عنهم) على مَن قال: لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له

إلى الله حاجة، لأن ظاهره وصول العبد إلى الغني المطلق؛ و ذلك محال، إذ العبد لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين، و لو لم يكن إلا خروج النَّفَس ودخوله! فتارك النفس يموت، و يصح أن يجاب عن ذلك بأن مراده الاكتفاء بعلم الله تعالى فيه و بما قسمه له، و أن الحق تعالى أغناه عن السؤال بالقسمة الإلهية. و الله سبحانه و تعالى أعلم.

و والله إني لأرى الفضل لله تعالى الذي أهّلني للوقوف بين يديه؛ و لو خَلْفَ جميع العصاة المارقين الفاسقين؛ رجاء أن يصيبني شيء من الرحمة التي لعلّها أن تنالهم، و أني لمثلي أن يقف بين يدي رب العالمين في صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة!؟

فالحمد لله الذي لم يطردني كما طرد تاركي الصلاة، فلم يمكِّن أحداً منهم أن يقف بين يديه.

و في بعض الكتب الإلهية يقول الله عز و جل: و مَن أظلم ممّن عبد لي لجنة أو نار، لو لم أخلق جنة و لا ناراً ألم أكنْ اهلاً لأن أُطاعَ!! انتهى.

و كان سيدي علي الخواص (رحمه الله تعالى) يقول: لا يليق بأحد من أمثالنا ان يسأل الله تعالى ثوابا على عبادته، و إنما اللائق به أن يسأل العفو عما جناه في تلك العبادة من سوء الأدب و عدمِ الخشوع فيها، لما ورد أن الصلاة إذا لم يكن فيها خشوع تُلفُّ كما يَلَفُّ الثواب الخلق، ثم يضرب بها وجه صاحبها. و سَمِعْتُه مرة أخرى يقول: لا يصح لعبد أن يسأل ربه ثواباً على أعماله من باب المنة و الفضل؛ إلا إن أحكم مقام التوحيد لله تعالى في الفعل، و إلا! فمن لازمه غالباً طلب الثواب في مقابلة عمله كما عليه طائفة العبَّاد الذين لم يسلكوا الطريق، فيقول الحق جل و علا لأحدهم: ادخل الجنة برحمتي. فيقول: بل بعملي؛ كما ورد. و لو أن أحدهم ذاق التوحيد لم يقل لربه مثل ذلك! لأنه جهل و خروج عن آداب العبد، فإن من شأن العبد ان يخدم سيده قياماً بواجب حق السيادة، لا لعلة أخرى من علل النفوس!

و إيضاح ذلك: أن مَن شهد الفعل لله (أي خلقاً لله جملة، ليس للعبد فيها غير النسبة. كما سيأتي "هامش الأصل") تعالى كشفاً زال عنه طلب الثواب على طاعته جملة واحدة، لأن احداً لا يَطلبُ ثواباً قطّ على فعل غيره.

و سمعته أيضاً (رضي الله عنه) يقول: إنما شرع للمصلي حين يسلم من صلاته أن يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله (ثلاث مرات)! ليتنبه المصلي على نقص صلاته و عدم الحضور مع الله فيها، و كثرة الغفلة، و حديث النفس، و غير ذلك، إذ الاستغفار لا يكون إلا عن ذنب، أقلُّ ما هناك شهوده نسبة الطاعة إليه مع كونه غافلاً عن شهود كون الحق هو الخالق لها، و ما قال عارف قط: "إيّاك نعبد و إيّاك نستعين" إلا على وجه التلاوة فقط؛ لا على

وجه كونه له شركة في الفعل إلا بقدر نسبة التكليف فقط. تعالى فعلُ الله عز و جل عنده – أي العارف – عن الشركة. فافهم.

و بالجملة فمن تأمُّل وجد حكم وقوف امثالنا بين يدي الله تبارك و تعالى حكم العبد المجرم الذي فسق في حريم الوالي و عرضوه عليه ليعاقبه، فلا يكاد يخطر على باله قط انه يخلع عليه خلعة، و إنما يسأل ربَّه عز و جل العفو عنه و ترك العقوبة، و ما ابردها على كبد ذلك المجرم إذا سمع بأن الوالي عفا عنه، و ترك معاقبته، و حَرْقه بالنار، و وَضْع الخوذة المُحمَّاة على رأسه. فالحمد لله رب العالمين.

و في "لطائف المنن" أيضاً في موضع آخر: و مما منّ الله تبارك و تعالى به عليّ: عدمُ اعتمادي على شيء من طاعتي دون الله تبارك و تعالى، فإن كل مَن اعتمد غير الله تبارك و تعالى تخلى عنه في الآخرة. و والله؛ ثم و الله إني لأنصرف من صلاتي و أنا خجل من ربي عز و جل أكثر من خجلي إذا عصيته، لسوء ما يقع في صلاتي من شهودي سوء الأدب و الغفلة عما يليق بتلك الحضرة، و لا أتجرء أن أقول في سجودي أو ركوعي: اللهم لك سجدت و بك آمنت، أو: اللهم لك ركعت ... إلى آخره، إلا إن أعقبت ذلك بقولي: سجوداً أو ركوعاً أستحق به في اعتقادي المؤاخذة لولا عفوك و حلمك و شفقتك عليّ؛ ذلك الفضل الذي لم تخسف بي الأرض، و لم تمسخ صورتي. انتهى.

فلو نظر العبد لوجد سداه و لحمته ذنوبا بالنظر لما يستحقُّه جلال الله عز و جل، و مَن كان هذا مشهده لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأساً. و في منظومة الشيخ إسماعيل بن المقري (رضي الله عنه و أرضاه و نفعنا ببركته و إمداداته):

ذنوبك في الطاعات و هي كثيرة إذا عدِّدت تكفيك عن كل زلَّة
تصلِّي بلا قلبٍ صلاة بمثلها يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

إلى آخر ما قاله (رضي الله عنه).

فعلم ان مَن كان ما ذكرناه مشهده في طاعته! فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها، بل لا يجترئ أن يطلب ذلك من الله أبداً! فحكمه كالمجرم الذي أتوا به بين يدي اوالي بسبب قتل، أو عمل زغل (أي الفساد. "صحاح". "هامش الأصل")، أو فجور بامرأة أمير، و نحو ذلك. فافهم يا أخي، و اعمل على التخلُّق به ترشد. و الله يتولّى هداك. و الحمد لله رب العالمين. اه 158 ج 1.

و في "شرح سلك العين": و في الطاعات ما يغني عن طلب المعاصي في غيرها.

و من جملة ذنوب الطاعات: استكثارها و استعظامها، و السكون إلى ما فيها من اللذة و الحلاوة. كما قيل: استحلاء المريد الطاعات سموم قاتلات، و من ذنوبها طلب الأعواض عليها، و الراحة بها، و الفرح على سبيل الاعتماد و التشوُّق إلى الكرامات العاجلة.

و أما إقامتها بالجهل و استدامتها بالسهو و الغفلة و سوء الأدب و الهواجس الردية، و ملاحظة الخَلق رياء و سمعة و نحو ذلك!! فهذا من كبائر الذنوب عند أرباب القلوب، و "حسنات الأبرار سيئات المقربين"، و فيهم نزل "و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وَجِلَةٌ" أي: يصلُّون و يصومون و يقومون؛ و يخافون من الله أن لا يقبل منهم ذلك.

وقيل: رُبَّ صلاة لو قسمت ذنوب فاعلها على اهل بلد لوسعتهم، و لو نزلت عقوبتها على أهل قُطرٍ لعمتهم. انتهى.

و في "شرح الحكيم": قال أبو سليمان (رضي الله عنه): ما استحسنتُ من نفسي عملاً فاحتسبته.

و قال علي بن الحسين (رضي الله عنه): كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل، لأن المقبول مرفوع مُغيَّبٌ عندك، و ما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول.

دليل القبول

و قد سئل بعض العارفين: ما علامة قبول العمل؟! قال: نسيانك إياه، و انقطاع نظرك عنه بالكلية، بدليل قوله تعالى: "**إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ و العَمَلُ الصالح يرفَعُهُ**" قال: فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل: أن لا يبقى عندك منه شيء، فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه لبينونةٍ بين عنديتك و عنديته، فينبغي للعبد إذا عمل عملاً أن يكون عنده نسياً منسياً بما ذكرناه من اتهام النفس، و رؤية التقصير، حتى يحصل له قبوله. انتهى 42.

و قال ابن عطاء الله في "لطائف المنن": و قال في قوله عز و جل "**الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة**" كل موضع ذكر فيه المصلين في معرض المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة؛ إما بلفظ الإقامة، أو بمعنى يرجع إليها، قال الله تعالى "الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون **الصلاة**"، "**رب اجعلني مقيم الصلاة**"، "**و أقام الصلاة**"، "**أقم الصلاة**"، "**و أقيموا الصلاة**"، "**و المقيمين الصلاة**"، و لما ذكر المصلين بالغفلة قال "**فويل للمصلين الذين هو عن صلاتهم ساهون**" و لم يقل: فويل للمقيمين الصلاة! و الإقامة هو: أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلتْ منه – خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته راكعةً ساجدة إلى يوم القيامة، و ثواب ذلك لصاحب الصلاة. انتهى. 158.

و في "الشرقاوي في شرح الحكم" لابن عطاء الله قدس سره: لا عمل أرجى للقبول – اي لقبول الله تعالى – من عمل يغيب عنك شهوده؛ بأن تشهد أن الذي وفّقك له هو الله تعالى، و لولاه ما صدر منك ذلك العمل، و يحتقر عندك وجوده؛ بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور، كالوصول إلى الله تعالى و القرب منه و نيل الدرجات و المقامات، لرؤيتك التقصير فيه، و عدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله. انتهى.

من يعبد لغرض فاسد عابد لصنم

و في "لطائف المنن" للشيخ الشعراني (رضي الله عنه): و قد سمعت سيدي عليًّا الخواص (رحمه الله تعالى) يقول: لا فرق بين عباد الأصنام و بين من يعبد الله لغرض فاسد، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام على حدّ سواء، لأن كلاً من العابدين اتخذ من دون الله ما لم يأذن به الله، و هم في ذلك على طبقات؛

فمنهم: مَن قصد بعلمه و ما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس، و دوام الصيت والجاه.

و منهم: مَن يقصد بعلمه و عمله إعلاء الدرجات، و ظهور الكرامات، و التصريف في الكون، و المشي على الماء، و الطيران في الهواء، و كشف الغيوب.

و منهم من لم يقصد بعلمه و عمله شيئاً من أمور هذه الدار، إنما يقصد بذلك الحور الحِسان و دخول الجنة، و غير ذلك من ثواب الآخرة.

و منهم: من يقصد بذلك السلامة من النار، و الخوف من الحساب و العقاب، و ما أعدَّه الله تعالى بأهل تلك الدار من النكال و الوبال.

ومنهم: من يقصد بعلمه و عمله القرب من الله تعالى، و الرضا عنه و المحبة له.

ومنهم: من لا قصد له في عمله و علمه إلا علمه باستحقاق مولاه العبادة و التذلل و الخضوع، و الوقوف عند أمره و نهيه، قد تبرأ من الاعتماد على حوله و قوته و علمه و عمله و قصده و إرادته؛ فأتى بأعماله على وجه الإخلاص و هو خائف من الله تعالى، لا يرى أنه قام بذرة واحدة من الأمور التي كُلِّفَ بها على الوجه الذي أُمِر به، و من هنا يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة تلك الأقسام السابقة؛ فاعلم ذلك، و اعمل، به، و الحمد لله رب العالمين. انتهى راجعه في 313 ج 1.

و قد كنت نقلته في "تنبيه السالكين" بَيْدَ أنه لما وقع الاحتياج كررته في هذا التأليف، فتدبر أيها الأخ السائل في هذه المذكورات لعلك تعرف الفرق بين عبادة مَن له شيخ و مَن لا!! و الله يتولى هداك. قال تعالى "**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**" الآية وقد نكَّر قوله:

"شيئاً" و من هنا قد تبرَّأ السالكون في طريق الله تعالى عن الالتفات في عملهم إلى السوى، و خاضوا في طريق الخلاص من اتباع الهوى، و تجنبوا عن الدخول في دائرة قوله تعالى "مَنْ اتخذَ إلهه هواه" و شهدوا مآل حديث: "تعس عبد الدينار و الدرهم و الخميصة" و علموا حقيقة قوله تعالى "**فمن كان يرجو لِقاءَ ربِّه فليعمل عملاً صالحا و لا يشرك بعبادة ربِّه احداً**"، و أدركوا بمعونة الشيخ و مدده دقائق الإخلاص و مراتبه، فنجوا بفضل الله تعالى عن ربقة السوى، و أتوا أعمالهم بملاحظة الذات المقدسة، حتى لم يلاحظوا الصفاتِ و الأسماءَ لِعلمهم بنور بصائرهم مثلاً؛ إن عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم، ففازوا بالعبودية، و صاروا من أهل الوُصلة، و ظفروا بالمشاهدة التي تصحبها مكالمة.

الإخلاص سرٌّ من أسرار الله تعالى

و في "المتممات": و قال النبي (ص) حكاية عن الله تعالى: "الإخلاص سر من أسراري، أستودعه قلب مَن أحب من عبادي" فبذا يعلم أن اطلاع سر الله عسير، و مراتب الإخلاص خفية كثيرة، فسلوك طريق المشايخ يكون واجباً على كل مَن ليس له قلب سليم بالجذبة الوهبية من باب: "ما لا يتم الواجب إلا به – فهو واجب" فإن لم يسلك الطريق! فالغالب عليه عدم خلوص أعماله من دقائق الرياء و شوائبه، و لو برؤية إخلاصه في إخلاصه.

و في "المنن" في 31 ج 2: و قد أجمع الأشياخ على أن من شهد في نفسه الإخلاص يحتاج إخلاصه إلى إخلاص، و لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص، كما صرَّح به الغزالي في "الإحياء" فراجعه في 924 ج 4.

فائدة: قد مرَّ أن الذكر المأخوذ من الشيخ يكون معه نور، لكن ينبغي أن يعلم أن القلب لا ينجلي من الحجب إلا بذكر كثير، قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**". و قال بعض العلماء: إن الذكر الكثير لا يطيق عليه إلا أن يأخذه عن الشيخ بالتلقين. و قال الإمام الرباني (قدس سره): إن المقصود من السلوك و الجذبة تطهير النفس من الأخلاق الردية و الأوصاف الرذيلة، و رأس جميع تلك الذمائم التعلق بالنفس و تحصيل مراداتها و هواها، فحينئذٍ لا يكون بدٌّ من السير الأنفسي، و لا مندوحة من الانتقال من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة. انتهى من "المكتوبات" في 47 ج 3.

و في "تنوير الصدر" ما خلاصته هذا: إن السير في الشريعة على الاستقامة و الإخلاص لا يتمُّ إلا بصحبة شيخ عارف.

و في "الجواهر" للشعراني: و سئلت عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء و الإعجاب بنفسه، فقلت: الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد

الحقيقي، و يرى أعماله خلقاً لله وحده جملة؛ ليس للعبد فيها غيرُ النسبة، فهناك لا يصير عنده رياء و لا إعجاب و لا تكبُّر على أحد من العصاة، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره و لا يعجب فيه بنفسه، و لا يحصل عنده دعوى. فإن قيل: فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال؟

قلت: لا أعلم له دواءً أسرعَ من التوحيد، و هو الذي وضعه أهل الطريقة للمريدين فطووا به الطريق، و قد أخطأ طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن و الصلاة و الصوم، و ماتوا على ريائهم و رؤية أعمالهم، و لم يخلصوا في شيئ منها، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى: "ادخل جنتي برحمتي"، فيقول: يا رب؛ بل بعملي. و ذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقف على جلاء القلب، فحكمُ الذكر كالحصى للنحاس الصدىء، و حكمُ غيره كالصابون. انتهى. و مثله في "المتممات".

و في "المواهب البريقية": و قد ورد أن عابداً عَبَد الله في جزيرة سبعين سنة، و في رواية خمسمائة سنة، و أن الحق يقول له يوم القيامة: "أُدخل الجنة برحمتي" فيقول: يا رب بل بعملي.

فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يدي عارف لعرف من أول ما دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى، دون عمله، وإن كان لزم الأدب!

و في "لواقح الأنوار": و ما لم يكثر العبد من ذكر الله عز و جل لا يحصل له هذا الأنس، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة. انتهى 312. قال تعالى "**و لذكرُ الله أكبر**" أي: أكبر في نفي الكبر و الخيلاء و محوِ الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها. و ذلك مجرَّب عند المشايخ؛ كذا في "تصديق المعارف". و قد نقلت هذه المذكورات بالتمام في "تنبيه السالكين" فراجعه.

فمن ظنَّ من الناس أنه قد أخلص عمله لله سبحانه بغير سلوك طريق الإخلاص؛ فقد أخطأ، إلا إن كان قد حفّته العناية الربانية بالجذبة الموهوبة! و ذا نادر. و قد مرَّ أن الحكم إنما يبنى على الغالب، و قد رأيت في "الإحياء" و غيره ما حاصله؛ أو ما هذا معناه: أن واحدا صلىَّ ثلاثين سنة في الصف الأول و قد تأخَّر يوماً فقام في الصف الثاني، فحصل له الحياء من الناس، فقضى جميع الصلوات التي صلى فيها لكونه قد أراد أن يراه الناس في الصف الأول، فجعله من جملة مراتب الرياء، بيد أني لم أتذكره الآن لتعيين موضعه، فافهم. فمن يتنبَّه من الناس لأمثال هذه الدقائق!؟ عصمنا الله من شرور أنفسنا و من سيئآت قبائح أعمالنا، و أدخلنا بفضله في دائرة قوله "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" آمين.

فائدة أخرى مهمة ذكرها الخادمي (قدس سره) في "البريقة"؛ قال في "الفيض": فبُعد الشيطان من الإنسان على قدر ذكره! و الناس فيه يتفاوتون. قال أبو سعيد الخَرَّاز: رأيت إبليس فأخذ عني ناحية فقلت: تعال.

فقال: أي شيء أعمل بكم لزمتم الذكر و طرحتم ما أخادع به؟! قلت: ما هو؟

قال: الدنيا. فولى، ثم التفت؛ و قال: بقي لي فيكم لطيفةٌ؛ هي السماع و صحبة الأشرار.

قال الغزالي: مهما غلب على القلب ذكر الدنيا و مقتضيات الهوى! وجد الشيطان مجالاً فوسوس، و مهما انصرف القلب إلى ذكر الله! ارتحل الشيطان و ضاق مجاه.

و قال الحكيم: قد أُعطي الشيطان و جنده السبيل إلى فتنة الآدمي و تزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته، فهو يهيج النفوسَ إلى تلك الزينة هيجاً يُزعزع أركان البدن، و يستقرُّ القلبَ حتى يزعجه عن مقرِّه، و لا تعتصم بشيئ أوثقَ من الذكر، لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار، و هيَّج العدوُّ نار الشهوات، و إذا رأى العدوُّ هيجان الذكر من القلب ولّى هاربا، و خمدت نار الشهوات، و امتلأ الصدر نوراً؛ فبطل كيده.

و عن ابن عبد العزيز: أن رجلاً سأل ربه أن يريَه موضع الشيطان من قلب الآدمي، فرأى في المنام جسد رجل يشبه البِلُّور يرى داخله من خارجه، و الشيطان بصورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر؛ له خرطوم طويل أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله خنس! و مثل هذا قد يشاهد في اليقظة، و قد رآه بعض المكاشفين بصورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها. و القصد أن يصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب، و كذا المَلَك! انتهى 541 ج 1. فراجعه من شرح حديث "إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم، فإنْ ذكر الله تعالى خنس! و إن نسي الله تعالى التقم قلبه". انتهى. من بحث الرياء.

و في "نشر المحاسن" للإمام اليافعي (رحمه الله تعالى): و قال بعضهم: ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم، و به يدفعون الآفات التي تقصدهم. و قيل: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان يصرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس.

و كتبت في كتابنا "تنبيه السالكين" بعد نقل ما مر في المنهوات ما نصه:

فالحاصل أن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفي عنه حديث النفس بالتدريج، و يرى الإصغاء إليه ذنباً فيتقيه، و يتَّقد القلب عند هذا الإصغاء بالذكر اتِّقادَ

الكواكب في كبد السماء، و يصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر، فإذا صار كذلك! بَعُدَ الشيطان، و يندر في حق هذا العبد الخواطر الشيطانية، ولّماته، فراجع "العوارف".

و أما قطع حديثِ النفس و الخواطر المشغلة عن خطاب الحق جل و علا بغير سلوك على يد شيخ ناصح مما لا يصحُّ أبداً! كما هو مذكور في "لواقح الأنوار"، فراجعه في 51 من هامش "لمنن الكبرى" من الجزء الأول.

و رأيت في "ترصيع الجواهر" ما لفظه: ثم إن لا إله إلا الله أعظم أنواع الذكر تأثيراً في كنس الأغيار من القلب و إزالة الحجب الظلمانية. انتهى 41.

و قال صاحب "النور الساطع" ما لفظه: و لا إله إلا الله – رأس الذكر، و أنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه و إقباله على المذكور و نفي الأغيار و دفع الوساوس و الخواطرالردية، و أقرب و أقطع في انجلاء القلب و صفائه، و رياضة النفس و تهذيبها، و لذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين و تهذيب نفوسهم. كما نص عليه سيدي علي المرصفي في "منهج السالك". انتهى فراجعه.

مهم

و لكن من أكابر المشايخ مَن يختار من الأذكار لفظة الجلالة (الله، الله، الله) بلا فرق بين المستعد و غيره، كما اختاره الإمام الرباني (قدس سره) آخراً. و قد فسّر الشيخ علي الخواص لقوله "**اذكروا الله ذِكراً كثيراً**" أي: كرِّروا هذا الاسم كثيراً، و نظير ذلك قوله تعالى "**ولذكر الله أكبر**" أي: ذكركم الاسم (الله) أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروعية الطالبة لوُجود الأغيار، كالرحمان و الغفور و الرزَّاق و نحوها؛ فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله، الله)، لأنه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم كما هو مذكور في كتاب "الجواهر و الدرر" للشعراني. فراجعه في 180 من هامش "الإبريز" و قد بسطنا الكلام في فضائلها في كتابنا "تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف"، فراجعه من الترغيب الخامس فلو اطلعت إلى الرحمة الهابطة ينشرح صدرك بما فيها من الفوائد و الفضائل، و تعلم سبب اختيار بعض المشايخ كالنقشبنديين هذا الاسم الأعظم من بين سائر الأذكار، و الله ولي التوفيق.

فلما كان في كلام السائل ذكر سوء الخاتمة؛ و قال: هل يكون الفرق في الخوف من سوء الخاتمة بين مَن له شيخ و بين غيره أم لا؟ أردت أن أجعله فصلاً مستقلاً من مباحث هذا الكتاب، فقلت مستعيناً بالله:

البرج الثالث

في جواب مسألة: هل يكون الفرق بين مَن له شيخ و بين غيره في الخف من سوء الخاتمة أم لا؟

اعلم أيها العزيز؛ أن الخوف من سوء الخاتمة في السالكين أكثر مما في غيرهم، لأنهم لما شهدوا الجلال و العظمة و علموا أنه تعالى يقول (هؤلاء إلى النار و لا أبالي)، و تيقَّنوا أن أعمالهم غير صافية من الكدورات، و أنهم قد عملوا سوءاً في كثير من الأوقات، يخافون من الله و من سوء العاقبة كما يخافون من السّبع الضاري، و ذا دأبهم بالليل و النهار! فقد كان أكابر السادات يكادون أن تنقطع أكبادهم من خوف سوء الخاتمة، و ذلك بكونهم كلما ترقّوا في مقامات الطريق يخافون من إبليس أكثر منه قبل الترقي، لعلمهم أن العبد كلما قرب من حضرة ربه تشتدُّ عداوة الشيطان له، و يجمع له الجيوش و لا يرجع عنه و لا تنقطع وساوس عن متوجه إلى الله؛ و إن دقّت بحيث لا يكاد يشعرها.

الذكر قوت الروح

و قد نبه الشعراني في "البحر المورود" إلى ما ذكر، و كلما أكثروا قُوتَ الروح؛ و هو الذكر؛ و أقلُّوا قوت النفس؛ و هو الاشتغال بحظوظها، يرون باذوق أنهم أذلُّ خلق الله، و لا يرون لهم قدراً ما؛ فانظر إلى هذا الإمام الرباني أحمد الفاروق الذي قيل فيه: لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني. أنه قال بعد ذكره قول بعضهم: إنّ المريد الصادقَ مَنْ لا يكتبُ عليه كاتبُ شماله شيئاً مدة عشرين سنة. انتهى. و هذا الفقير المملوء بالتقصير يجد نفسخ بالذوق و الوجدان بحيث لا يدري أن كاتب يمينه وجد حسنة يدرجها في صحيقة أعماله منذ عشرين سنة، علم الله سبحانه أنه لا يقول هذا الكلام بالتصنع، و يجد بالذوق أيضاً أن كفار الإفرنج أقضل منه بمراتب، فإن سئل عز لَمِّيَّته لا يعجز عن الجواب، و يرى نفسه أيضاً بطريق الذوق محاطاً بالخطيئات و مشمولاً بالسيئات، و ما وجد فيه من الحسنات يرى أن كاتب شماله أحقُّ بكتابته، و يرى أن كاتب شماله مشغولٌ أبداً، و كاتب يمينه معطل و فارغ سرمداً، و يعلم أن صحيفة يمينه خالية، و صحيفة شماله مملوءة؛ لا رجاء له سوى الرحمة، و لا مُمِدّ له سِوى المَغفرة.

(دعاء): اللّهم مغفرتك أوسَعُ منْ ذنوبي، و رَحمَتُكَ أرْحَمَكَ أرجى عندي مِنْ عَمَلي، موافق حاله. انتهى "الدرر المكنونات" من عينه من الجزء الأول 200.

و قال الإمام الرباني أيضاً في بعض مكاتبه؛ بعد ذكره كلاماً نفيساً: و المقصود من هذا القيل و القال إظهارُ نعمة الحق سبحانه، و ترغيب طلاب هذه الطريقة، لا تفضيل نفس

على الأخرى! و معرفة الله سبحانه حرام على مَن يرى نفسه أفضل من كفار الإفرنج، فكيف من أكابر الدين؟! منه في ص 254 ج 1. و مثل قوله قال كثير من الأقطاب؛ كخالد شاه، و محمود أفندي و غيرهما، و يحتمل أن يكون معنى قول الجنيد (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح، و لا يخرج منه إلا كل مليح): أنه لا يرى من نفسه إلا كل قبيح؛ و إن خرج منه بالنسبة إلى غيره كل مليح! فافهم.

و لكن إذا نظرنا إلى الآيات و الأحداث يعلم أن حسن العاقبة و سوءها منوطان بالأعمال، فقد قال الغزالي في "الإحياء" ما نصه:

فإن قلت: فليت شعري ماذا موردي؟ و إلى ماذا مآلي و مرجعي؟ و ما الذي سبق به القضاء في حقي؟ فلك علامة تستأنس بها، و يصدق رجاؤك بسببها، و هو أن تنظر إلى أحوالك و أعمالك، فإنّ كلاً ميسّر لما خلق له، فإنْ كان قد يسَّر لك سبل الخير! فأبشر، فإنك مبعد من النار، و إن كنت لا تقصد خيراً إلاَّ و تحيط بك العوائق فتندفعه، و لا تقصد شراً إلاَّ و تيسر لك أسْبَابُهُ؛ فاعلم أنّك مقضيّ عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدَلالة المطر على النبات، وَ دَلالة الدّخان على النار، فقد قال الله تعالى "**إن الأبرارَ لَفي نَعِيم و إنّ الفُجَّار لَفي جَحيم**" فاعرض نفسك على الآيتين، و قد عرفت مستقرّك من الدّارين و الله أعلم انتهى.

و قد قال الإمام الرباني – قدس سره - : المقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بحقية المعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان، و حصول اليسر في أداء أحكام الشرعية؛ لا أمر آخر وراء ذلك اه كذا في "الدرر المكنونات".

و في "الرشحات" ما معناه: إن المقصود من سلوك الطريق كون القلب حاضراً بالله على سبيل الذوق، يعني: أن يكون الذكر القلبي و الحضور الدائمي مع الله تعالى مَلَكة راسخة لا تزول و لا تنقطع، حتى لو تكلَّف لإخطار غير الله في البال لم يخطر، و هذا منهم هو الخوف من سوء المنقلب، و هو الاستعداد لذلك الوقت، و قد قالوا: المرء يموت على ما عاش عليه، و يحشر على ما مات عليه. فإذا علمت ما ذكر تعلم أن السالكين هم الخائفون، و غيرهم هم الآمنون، و الأمنُ من سوء العاقبة هو سبب سلب الإيمان، عياذاً بالله تعالى "**و لا يأمن مكر الله إلا الفوم الخاسرون**" الآية.

و من المعلوم المحسوس أن تقوى الله تعالى أكثر في السالكين مما في غيرهم، و يرجع أمره إلى أن ينجو ممسك عروته من زوال الإيمان؛ نظراً إلى ما في الآيات، فإن مآل كلِّها و مضمونها على حسن حال المتقي، قال تعالى: "**يا أيُّها الّذين آمنوا اتُّقوا الله و قولوا قولاً سديداً يُصلح لكمْ أعمالَكم و يغفر لكم ذنوبكم**" و قد فسر: أي يتم أعمالكم. و قال البعض: يقبل

أعمالكم. و قال تعالى "**إن الله يحب المتقين**". و قال "**إنما يتقبل الله من المتقين**"، و قال "**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"، و قال: "**الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة**" و قال: "**ثم ينجى الله الذين اتقوا**" و قال: "**و سيجنبها الأتقى الذي**"، و قال: "**أعدَّت للمُتَّقين**".

سبب سوء الخاتمة

و أيضاً إن سبب سوء الخاتمة كثرة الذنوب الظاهرة و الباطنة، و الإصرار على الكبائر و الصغائر حتى تعلو الظلمة و النكتة على القلب بسببها، بحيث لا يخاف من الله و من سوء العاقبة، قال تعالى: "**كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**"

قال الإمام الغزالي – رحمه الله تعالى – في "إحياء علوم الدين" ما نصّه: فالعاصي بالضرورة بذنوبه ناقص الإيمان، و ليس الإيمان باباً واحداً! بل هو نيف و سبعون، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق. و مثاله قول القائل: (ليس الإنسان موجوداً واحداً! بل هو نيف و سبعون موجوداً، أعلاها القلب و الروح، و أدناها إماطة الأذى عن البشر؛ بأن يكون مقصوص الشارب، مقلوم الأظافر، نقي البشرة عن الخبث، حتى يتميَّز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها و أظلافها)، و هذا مثال مطابق. فالإيمان كالإنسان، و فقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح، و الذي ليس له إلاّ شهادة التوحيد و الرسالة! هو كإنسان مقطوع الأطراف، مفقود العينين، فاقداً لجميع أعضائه الباطنة و الظاهرة؛ إلا أصل الروح! و كما أن مَن هذه حالُه قريبٌ من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلَّف عنها الأعضاء التي تمدُّها و تقوِّيها؛ فكذلك مَن ليس له إلا أصل الإيمان؛ و هو مقصِّر في الأعمال؛ قريب من أن تُقتَلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحرِّكة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت و وروده، فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله، و لم تنتشر في الأعمال فروعه، لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت، و خيف عليه سوء الخاتمة، إلا ما يبقى بالطاعات على توالي الآيام و الساعات حتى رسخ و ثبت اه. فراجعه في 6 من الجزء الرابع.

و فيه أيضاً؛ في صحيفة 7: فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان، فلا تزال تجتمع في الباطن مغيِّرة مزاج الأخلاط؛ و هو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج، فيمرض دفعة ثم يموت دفعة، فكذلك المعاصي. انتهى.

و أما السالكون! فأول ما يلقِّنهم المشايخ: التوبة و الاستغفار، و الصلاة على النبي المختار (ص)، رجاءَ أن يبدِّل الله سيئاتهم حسنات. قال تعالى: "**و الذين إذا فعلوا فاحشة**

أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم" الآية. و قوله تعالى "و من يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما". و قوله: "إن الحسنات يذهبن السيئات". و في الحديث: "أتبع السيئة الحسنة تمحها". فالمريد، وإن عصى و خالف! فهو يستغفر الله في كل يوم ألف مرة، أو خمسمئة مرة، كما كان أشياخنا يأمرونهم بذلك.

روى ابن ماجه: "لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم، لتاب الله عليكم".

و روى الطبراني و البيهقي: "صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها، و إذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك. فيمسك ست ساعات، فإن استغفر الله منها! لم يكتب عليه شيئاً، و إن لم يستغفر الله! كتبها سيئة واحدة". فهذه نعمة جليلة للمريدين!

الغفلة من أعظم الذنوب

فإن أشياخهم يأمرونهم بعدم غفلتهم عن الله حتى في الخلاء، فكيف يغفلون عنه تعالى في حالة وقوعهم في المعصية و المخالفة، مع أنهم يعدون الغفلة من أعظم الذنوب!؟ فالفرق بين مَن هذا حالهُ، و بين من لا يحضر قلبُه مع الله؛ و لو في الصلاة المفروضة إلا بالتكلف بل لحمته و سداه غفلة ظاهر لا يخفى.

و في كتاب "الرماح": فإن مَن اشتغل بها – يعني بمكفرات الذنوب – مع كثرة ذنوبه خفّت مؤونة الذنوب عليه، و هو خير من الذي يقتحم الذنوب و لا يأتي بمكفراتها، قال سبحانه تعالى: **"إن الحسنات يذهبن السيئات"** و قال (ص): "إذا أتيت بسيئة فأتبعها بالحسنة" أو كما قال (ص) مما معناه هذا[1] ، و ذلك بمنزلة مَن يسرع له تجديد الجراح بجسده فيسرع له بالدواء، فكلما وقع عليه جراح أسرع بدوائه، و هو خير من الذي تنصبُّ عليه الجراح فلا يتداوى 359 ج 3. انتهى. من هامش "جواهر المعاني". و أيضاً إن المريدين يصلُّون على النبي (ص) ألف مرة أو خمسمائة مرة بتلقين مشايخهم في كل يوم، و كونها من المكفرات للذنوب معلومة.

قال في "جواهر المعاني" ما حاصله: أنه سبحانه و تعالى عظيم المحبة و العناية برسوله (ص) فمن رآه سبحانه و تعالى توجه بالصلاة على حبيبه (ص)؛ اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه، و كانت بلك المحبة و العناية منه سبحانه و تعالى إذا ثابر[2] على الصلاة

---

[1] و نصه: "وأتبع السيئة الحسنة تمحها ..." و الله تعالى أعلم. (عبد)

[2] المثابرة على الأمر: المواظبة عليه. "مختار". و الملازمة له. "مصباح"، "هامش الأصل".

عليه (ص) لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة؛ لأدخلها كلها سبحانه و تعالى في بحر عفوه و فضله، و واجهه سبحانه تعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة؛ بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه سبحانه و تعالى، و كان حكمه في الغيب: كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملؤة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة: إن له عناية بحبيبنا (ص)، لا تكون سيئاته كسيئات غيره! و لا تقع المؤاخذة عليه كما تقع على غيره من أصحاب السيئات. انتهى 132 ج1.

و فيه في موضع آخر: إن الصلاة على رسول الله (ص) في حق الفاسق أنفعُ له من تلاوة القرآن[3]. انتهى 200 2ج.

و فيه أيضاً بُعَيد هذا: فإن الله سبحانه و تعالى ضمن لتاليها أن يصلي عليه، و مَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه، و لا وسيلة عند الله أعظمُ نفعاً و أرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكبرُ من الصلاة على النبي (ص).

ثواب صلاة الفاتح

و فيه أيضاً: و اعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير، لكن أكثروا من مكفرات الذنوب و آكدُ ذلك صلاة الفاتح لما أغلق، فإنها لا تترك من الذنوب شاذة و لا فاذَّة. اه و هي: "اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، و الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، و الهادي إلى صراطك المستقيم، و على آله حقَّ قدره و مقداره العظيم". وهي الصيغة تعدل بستمائة[4] الف صلاة.

و في "جواهر المعاني": و اعلم أن كل ما تذكره من الأذكار و الصلوات على النبي (ص) و الأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام؛ كل يوم تذكرها مائة ألف مرة؛ و جميع ثواب ذلك كله، ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق. اه. 157 ج 3.

---

3 و في "الصاوي حاشية الجلال" في قوله تعالى: "**وقل ربِّ زدني علماً**" أي، سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب نزول القرآن؛ فإنها أفضل ما يسأل، و أعزُّ ما يطلب، و من هنا أمر المشايخ للمريدين بتلاوة القرآن و التعبُّد به بعد كمالهم و نظافة قلوبهم، و ما داموا لم يكملوا! يأمرونهم بالذكر و نحوه لتخلص قلوبهم، و الحكمة في ذلك أن الغفلة في الذكر أخفُّ منها في القرآن، لما في الأثر: "رُبَّ قارئ للقرآن و القرآن يلعنه". فجعل العارفون للتوسل للقرآن طرقاً يجاهدون أنفسهم فيها، ليزدادوا لقراءتهم القرآن علوماً و معارف و أخلاقا، و حينئذٍ فليس تركهم القراءة في المبتدء لكون غيره أفضل منه! بل لينظفوا أنفسهم للقراءة. انتهى فراجعه من سورة طه.
و قد بسط الإمام الرباني الكلام في حق هذا في بعض مكاتبه، فراجعه (منه رحم الله إفلاسه)

4 و في نسخة: سبعمئة ألف صلاة.

و قد ذكرت بعض فضائل صلاة الفاتح لما أغلق في كتابنا "تلخيص المعارف"[5] فلو راجعت إليه العجائب. و السلام على مَن اتبع الهدى.

و من صيغ الصلاة التي ورد: أن مَن قال هذه الصيغة و كان قائماً غفر له قبل أن يقعد، و إن كان قاعداً غفر له قبل أن يقوم، هذه الصلاة: "اللهم صل على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم"، و هي مذكورة في "منهاج السادات" فراجعه في 47.

فالملازمة على أمثال هذه المكفرات أكثر في السالكين من غيرهم، فظهر الفرق بينهم و بين غيرهم من العوام.

في شفاعة المشايخ

و أيضاً إن المشايخ يلاحظون أتباعهم في الشدائد و المضائق، و ينظرون بنور بصائرهم إلى أحوالهم، و يمدونهم بمددهم، و قد نقل شيخنا سيف الله – قدس سره – في "كنز المعارف" من الحكم ما لفظه: فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته، فإن المريدين عيال على شيوخهم فُرِضَ عليهم أن ينفقوا من قوت أحوالهم ما يكون جبراناً ليقصيرهم. اه.

و نقل المحقق محمد طاهر – رحمه الله – في "شرح المفروض" عن "ميزان" الشعراني ما نصُّه: إن ائمة الفقهاء و الصوفية كلهم يشفعون في مقلديهم، و يلاحظون أحدهم عند طلوع روحه، و عند سؤال منكر و نكير، و عند المحشر، و عند الحشر و النشر و الحساب و الميزان و الصراط و لا يغفلون عنهم في موقف من المواقف.

و في "الفجر المنير": و قال يعني أحمد الرفاعي رضي الله عنه: الشيخ هو الذي يحضر مع مريده و يلاحظه في أربعة مواضع: الأول: حين النزع و خروج الروح من الجسد، الثاني: عند سؤال الملكين منكر و نكير في القبر، الثالث: عند العبور على الصراط و المرور به، و الرابع: عند وزن أعماله بالميزان. انتهى 30.

و قد حكت امرأة صالحة و لية أنها كانت تذهب وحدها لدى شيخها ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره، فاجتمعت في الطريق مع راكب؛ فحمل فروتها على فرسه رحمة بها لعَجزها وضعفها؛ ففارق منها، ثم اجتمعت مع راكب آخر، فأركبها على فرسه زمناً يسيراً، ففارق منها أيضاً، ثم كانت تمشي هويناً، فلقيها راكب آخر، فانزعج فرسه خوفا منها، و طرح مِن فرسه، فغضب عليها و تكلَّم عُنفاً؛ فقال: بَزَلْ عَدِنشْ عَدَمَلْ رَجُنِلْ؟

---

[5] انظر ص 23 و ما بعدها من طبعتنا

فقالت له: "عَنْكْ عَدِنْ مُنْكِ وَجُّنِبْ مِخَّلْ بَزْعَدِنْ دُنْكِ يَجُنِ يِكُ خَّ دِرْوَسْ".

قالت له ذلك بحسب التلاعب معه لإطفاء نار غضبه و تطييب قلبه، ثم وصلت لدى الشيخ المذكور؛ فباتت عنده، فحين قصدت أن ترجع من لدنه إلى قريتها اهتمَّت و اغتمَّت، فإذا نظر الشيخ إلى همومها و غمومها قال لها: لا تخافي، فإني أكون معك عند المجيء و عند الإياب، و أنا أيضاً أكون معك في حالة الاحتضار لأدفع عنك الشيطان، و أكون معك أيضاً عند المسألة في القبر لأجيب الملكين منك و أنت ساكتة. فذكر جميع ما وقع لها مع تلكم الرواكب في الأمس، فقال: "وُكُلِوْ وُكُنْ وُكِش دُنْ دُدَخَدُ". فكانت المرأة العجوزة المذكورة تُخْبِرُ[6] هذه القصة، و كانت من الصالحات العابدات القانتات[7].

و نقل عن "الأجوبة المرضية" للشعراني: أن للقيامة خمسين موقفاً؛ أولها إذا خرج الناس من قبورهم فيقفون ألف سنة، فليس للشيخ أن يفارق مريده في ذلك الموقف حتى يلقِّنه حجته، و ذلك له، ثم يساق الناس إلى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام، فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجيب عنه. اه. و آخر الموقف الصراط. فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجاوز الصراط إلى الجنة. اه. فانظر يا أخي نفع المشايخ لمريديهم.

و الحمد لله رب العالمين. انتهى اختصاراً.

مهم

و مما ينبغي إلحاقه هنا: ما ذكره الشعراني في "البحر المورود" بما هذا نصه: و أُعلِّمك يا أخي طريقاً تملك به قلوب الفقراء، فلا يتخلَّفون عنك لا في الدنيا و لا في الآخرة! و اعلم يا أخي أن الأولياء أولى الناس بمكافأة مَن أحسن إليهم؛ لجودهم و حيائهم ممن دفع لهم هدية؛ و لو رغيفاً فقد أدخلهم في منَّته، و وجب عليهم قضاء حوائجه في الدارين، و مَن لم يدفع إليهم شيئاً من الهدايا لقضاء حوائجه ليست واجبة عليهم؛ و إنما ذلك مستحب. انتهى. فراجعه فإنه مهم.

و أيضا إن محبة أهل الطريق هي السبب المنجي من سوء العاقبة، فإن "المرء يحشر مع مَن أحب". فنرجو الله تعالى أن يميت محبَّ أوليائه على الإيمان.

و لو لا أن المريد قد صدَّق طريق الولاية لما دخل فيه! و تصديق طريقة الولاية ولاية؛ كما قاله الجنيد (رضي الله عنه)، فالمحبُّ للصوفية و المتشبِّه بهم، و المتشبِّه بالمتشبِّه بهم و

---

[6] و أيضاً قال لي (قدس سره): يا ولدي! إن الشيخ لا يكون شيخاً ما لم يقف عند المريد في المواضع المخوفة له في الدنيا، و عند الأهوال و الأنكال له في الآخرة، مبتدئاً من سؤال القبر، إلى التجاوز و العبور على الصراط، و أرجو أن أكون لكم أكثر و أشدَّ نفعاً في الآخرة مما في الدنيا، و أرجو أيضاً أن يقوم خليفتي حسن أفندي بعدي مقامي فيما لكم به الضرُّ و النفع بأبلغ وجه. اه فاشار – رحمه الله – بهذا إلى قرب انتقاله إلى دار القرار. نفعنا الله به في الدارين. آمين "الزابره (كاتبه) الحقير".

[7] وقبرها في غزانش الأعلى؛ لدى قبر ولد شيخنا العسلي – قدس سره - . (منه).

اللابس لخرقتهم، و المتبرِّك بنسبتهم، و المتصل بسلسلتهم، و العاشق لهم، و المحب لطريقتهم و رسومهم أفضلُ من غيره، لحسن ظنه فيهم؛ و إن كان خالفاً عنهم و متخلِّفاً عن فعل مثلهم و مائلاً عن سنن استقامتهم! فالخالف منهم في بركة السالف، فمددُ هممهم العالية على مَن تعلق بهم و صدَق في حبهم و صفَّى ودَّهم و تشبه بهم و انتسب إليهم طامية، و الكل في دوائر نفحات بركاتهم الشاملة، و حصون عنايتهم الكاملة؛ كما هو مذكور بلفظه و عبارته في "عقد اليواقيت" في 57 ج 1.

و فيه: و منهم مَن يصحبهم و يخالطهم ليناله بركتهم و صالح دعواتهم؛ من غير أن تكون له نية و لا عزيمة في الاقتداء و التشبه بسيرهم، فذلك لا يخلو من بركة و خير كثير، و هو داخل في عموم ما ورد في الحديث القدسي "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم" 51 ج 1.

و فيه: من أحب القوم و كان لا يصرّ على كبيرة فهو محب حقيقة؛ و إن وقع في ذنب أو عيب يوماً ما ففي الحديث الصحيح: قيل: يا رسول الله الرجل يحب القوم و لا يلحق بهم؟ قال: "أنت مع من أحببت"[8].

و فيه: يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة.

قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي – نفعنا الله به - : هذا بنظرة الناظر إليهم، و أما نظرهم إليه! فإنهم يوصلون به إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره. انتهى.

قلت: و في الحديث ورد ذلك في قوله (ص): "إن لله عباداً مَن نظر في أحدهم نظرةَ سَعِد سعادة لا يشقى بعدها ابداً". انتهى 59.

مهم في حب العلماء و الصلحاء

و قال الإمام الرباني (قدس سره): إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية و أخروية، و التوفيقُ لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة، و تحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة، و لو صُبّت جميع ظلمات العالم و كدوراته في الباطن؛ و هذه المحبة قائمة! ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً، و لو أُفيضت أمثال الجبال من الأنوار و الأحوال على الباطن؛ و قد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة! ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان. انتهى من "الدرر المكنونات" في 217.

فانظر أيها الأخ إلى ما يثمر محبة الصالحين و لو لمن لا يعمل بعملهم!

---

[8] و إن أردت أن تعلم معنى المعيّة في هذا فراجع القسطلاني في 99 من ج 2 (هامش الأصل)

و رأيت في "الإحياء" ما حاصله: مَن أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير، و من فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك.

و فيه بُعَيد هذا: و قد قال أعرابي للنبي (ص): يا رسول الله؛ الرجل يحب القوم و لمَّا يلحق بهم! فقال النبي (ص): "المرء مع من أحب". و قام أعرابي على رسول الله (ص) و هو يخطب فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: "ما أعددت لها؟" قال: ما أعددت لها من كثير صلاة و لا صيام إلا أني أحب الله و رسوله، فقال (ص): أنت مع من أحببت" قال أنس: فما فرح المسلمون كفرحهم يومئذ. إشارة إلى أن أكثر بغيتهم كانت حبَّ الله و رسوله.

قال أنس: فنحن نحبُّ رسول الله و أبا بكر و عمر و لا نعمل مثل عملهم، و نرجو أن نكون معهم.

و قال أبو موسى: قلت: يا رسول الله! الرجل يحب المصلين و لا يصلي، و يحب الصُّوَّامَ و لا يصوم حتى عدَّ أشياء، فقال النبي (ص): "هو مع من أحب"[9]. و قال رجل لعمر بن عبد العزيز: إنه كان يقول : إن استطعت أن تكون عالماً؛ فكن عالماً؛ فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلِّماً؛ فإن لم تستطع أن تكون متعلِّماً! فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال: سبحان الله! لقد جعل الله لنا مخرجاً. انتهى 136 ج 3.

فضيلة مجالسة العالم

و في "نوادر" العالم العلاَّمة الشيخ أحمد القليوبي (رحمه الله تعالى): إن كعب الأحبار – رضي الله عنه – قال: إن الله تعالى يحاسب العبد، فإذا رجحت سيئاته على حسناته يؤمر به إلى النار، فإذا ذهبوا به إليها يقول الله تعالى لجبريل: "أدرِك عبدي و اسأله: هل جلس في مجلس عالم في الدنيا؟ فاغفر له بشفاعته. فيسأله جبريل، فيقول: لا. فيقول جبريل: يا رب! إنك عالم بحال عبدك أنه قال: لا. فيقول: سَلهُ: هل أحبَّ عالما؟ فيقول: لا. فيقول: سَلهُ: هل جلس على مائدة مع عالم؟ فيقول: لا. فيقول: سَله: هل سكن في سِكَّةٍ فيها عالمٌ؟ فيقول: لا. فيقول سَله هل وافق اسمه اسم عالم؛ أو نسبُه نسب عالم؟ فيقول: لا. فيقول: سَله هل يحب رجلاً يحب عالماً؟ فيقول: نعم. فيقول الله لجبريل: خذ بيده وأدخله الجنة، فإني قد غفرت له بذلك. انتهى 35.

و قال شيخنا السيد الأمير سيف الله الحسيني – قدس سره – في "كنز المعارف": ثم اعلم أيها الصادق أن التشبه بالأخيار و الصالحين بحسن الظن بهم يورث المحبة، و أن مَن أحب يكون مع المحبين، ألا ترى أن الله لما أرسل موسى – على نبينا و عليه الصلاة و الصلام

---

[9] متفق عليه. كذا في "الإتحاف". راجعه. (منه).

– إلى فرعون كان السامري يتشبَّه بموسى بين يدي فرعون ليضحكه؛ استهزاءًا منه و استهانة، فبسبب هذا التشبه على هذا الوجه نجَّاه الله تعالى من الغرق؛ فلم يغرق مع فرعون و أصحابه!! هذا بمجرد التشبه و الحال على وجه الاستهانة و الاستهزاء، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه؟! و كيف إذا كان بحسن نية و لو لم يَقُمْ بالعمل؟! قال الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلَهم إن التشبه بالكرام فلاحٌ

وقد ورد: "المرء مع من أحب". فكم موضع ذكرنا هذا! لما أنهم "قوم لا يشقى جليسهم" ذكره السيد أحمد بن إدريس في "عقد النفيس" انتهى. من خطه رحمه الله تعالى.

و رأيت في "الصاوي شرح الجلال" في شرح قوله تعالى: **"و كلبهم باسطٌ"** ما نصه: و هو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة، و بهذا تعلم أن حبّ الصالحين و التعلّق بهم يورث الخير العظيم و الفوز بجنات النعيم اه فراجعه من سورة الكهف.

و أيضاً أنَّ التضَلُّعَ مِن هذا العِلم[10] يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، و يحمله على التوبة و الإنابة، و سلوك ما يوجب الفوز بالسعادة، فقد نقل الشيخ أبو طالب المكيُّ في كتاب "قوت القلوب"، و الإمام أبو حامد في كتابه "الإحياء" عن بعض العارفين أنه قال: **من لم يكن له من هذا العلم** (أي علم الباطن) **نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة**. و أدنى النصيب منه: التصديقُ به و تسليمُه لأهله.

وَ قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنه): مَنْ لم يَتَغَلْغَلْ في علمنا هذا مات مصرًّا على الكبائر و هو لا يشعر. كذا في "منية الفقير المتجرد".

و رأيت في "أذكار النووي" – رحمه الله تعالى – ما حاصله: أن تعلُّمَ مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة.

و كتبَ شَيْخُنا الأمير سيف الله – قدس سره – في بعض مكاتيبه: أن نظر كُتُب أهل السلوك جُندٌ من جنود الله. اه.

فعُلِمَ من هذه المنقولات من كتب الأكابر – رضي الله عنهم – أن محبة أهل الطريق و تسليمَهم و تصديقهم، و التشبُّه بهم و الاشتغال بعلمهم، من أسباب السعادة و حسن الخاتمة، وأن ضدها مما يوجب الشقاوة و العياذ بالله ، فالفرق بين مَن دخل في الطريقة و بين غيره ظاهر، و لعل الأخ السائل البرجي – رحمه الله – يرضى بهذا القدر من الجواب.

---

[10] أي علم الباطن. (منه).

فصلٌ

في ذكر شيء مما يكون سبباً لحسن الخاتمة، أماتنا الله تعالى مع أهلينا و أولادنا و أحبابنا على دين الإسلام و الإيمان آمين.

قال صاحب "ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد" في 45 من هامش "عقد اليواقيت" ج 1 بعد ذكره كلاماً في شرح قول الراتب: "يا ذا الجلال و الإكرام أمِتنا على دين الإسلام" ما نصه: ثم اعلم أن سيدنا الشيخ عبد الله صاحب الراتب (رضي الله عنه)؛ من الأئمة العارفين بجلال الله تعالى ... الفعالُ لما يريد، و بيده الخير و الشر، والسعادة و الشقاوة، وأن القدر سرٌّ من أسرار الله تعالى؛ ضُربت دونه أستار اختص الله بها، و حجبها عن عقول خلقه، حتى الأنبياء و الملائكة و الاولياء ، و لا ينكشف ذلك إلا بعد الموت على الإسلام – اهتمّ بسؤال الموت على الإسلام؛ إذ العارفون أكثر خوفاً من سوء الخاتمة من غيرهم.

روي أن الإمام أحمد ابن حنبل – رضي الله عنه – أمَرهم أنْ يوضّئوه عند الاحتضار، ثم جعل يعرق، ثم يفيق فيقول: لا بَعد، لا بَعد. فقال له ابنه: يا أبت ما هذا الذي لَهجْتَ به؟! فقال: يا بني إبليس قائم بحذائي عاضٌ بيده يقول: يا أحمد فُتَّني[11]؟ فأقول: لا بَعد لا بَعْد حتى أموت. انتهى. فكانوا أعظم الناس خوفاً، وأكثرهم سؤالاً لحسن الخاتمة. كما بيّن ذلك في نصائحه.

و اعلم – رحمك الله تعالى – أنه كلما كان الإيمان أقوى و العملُ أصلحَ كان الخوف أكثر، و كلما كان الإيمان أضعف و العمل أسوأ كان الخوف أقلَّ، و الأمنُ و الاغترار أغلب، فاعتبر ذلك في نفسك و غيرها تجده بيِّناً.

و على الجملة: فإن المؤمن الصادق هو الذي يعمل الصالحات و يُخلِص فيها، و يرجو القبول و الثواب عليها من فضل الله تعالى، و يجانب السيئات و يبعد عنها و يخاف أن يبتلى بها، و يخشى العقاب على ما عمله منها، و يرجو المغفرة من الله تعالى بعد التوبة و الإنابة إلى الله تعالى؛ فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المُخلِّطين و أمره في غاية الخطر، فافهم هذه الجملة و طالب نفسك بها تنجُ و تفز إن شاء الله تعالى؛ إلى آخر ما ذكره، نفع الله به.

و كان قد قال قبل ذلك في مبحث "ذكر الإسلام": و لن يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام، و لكن قد جعل الله له سبباً إلى ذلك، إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه، و امتثل ما أمر به؛ و هو أن يختار الموت على الإسلام و يحبه و يتمنَّاه و يعزم

[11] و قال: تفلّتَ مني يا أحمد. فقلت: لا بعد؛ ما دام روحي في الجسد فلا أغترُّ بسلامتي منك. "شرح سلك العين" 190.

عليه، و يكره الموت على غيره من الأديان، و لا يزال داعياً و متضرِّعا و سائلاً من الله أن يتوفَّاه مسلما، و بذلك وصف الله أنبياءه و الصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام: "**أنت وليِّ في الدنيا و الآخرة توفَّني مسلماً و ألحقني بالصالحين**". قال و على الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه و تقويته؛ بفعل ما أُمر به من طاعة الله تعالى، فإن المضيّع لأوامر الله تعالى متعرِّض للموت على غير الإسلام، فإن تركه لذلك دليلٌ على استهانته للدين و على الاستخفاف به، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر، و عليه أيضاً أن يجانب المعاصي و الآثام، فإنها تضعف الإسلام و توهنه و تزلزل قواعده، و تعرِّضه للسلب عند الموت. كما وقع ذلك – والعياذ بالله – لكثير من الملابسين و المصرِّين عليها. و في قوله تعالى: "**ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤون**" ما يدل على ذلك. و خذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، و إن وقعت في شيء فتب إلى الله منه، و احذر كل الحذر من الإصرار عليه؛ و لا تزل سائلاً من الله تعالى حسن الخاتمة، فقد بلغنا أن الشيطان – لعنه الله – يقول: قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة. أقول: متى يعجب هذا بعمله أخاف أن قد فطن[12]. و أكثرْ من الحمد و الشكر على نعمة الإسلام، فإنها أعظم النعم و أكبرها، فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبداً و منعه عن الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه، و لو أعطاه الإسلام و منعه الدنيا لم يضرَّه ذلك، لأن الأول يموت فيصير إلى النار، و هذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة.

و عليك أن لا تزال خائفاً وَجِلاً من سوء الخاتمة؛ فإن الله تعالى مقلب القلوب يهدي مَن يشاء، و يضل من يشاء.

قال: و قد كان السلف الصالح – رحمة الله عليهم – في غاية الحذر من سوء الخاتمة مع صلاح أعمالهم و قلَّة ذنوبهم.

الذين يختمون بخاتمة السوء كثير

و اعلم أن كثيراً ما يختم بخاتمة السوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة و الزكاة الواجبة، و الذين يتتبعون عورات المسلمين، و الذين ينقصون المكيال و الميزان، و الذين يخدعون المسلمين و يغشونهم و يلبسون عليهم في أمور الدين و الدنيا، و الذين يكذبون أولياء الله و ينكرون عليهم بغير حق، و الذين يدّعون أحوال الأولياء و مقاماتهم من غير صدق، و أشباه ذلك من الأمور الشنيعة.

12

و من أخوف ما يُخاف على صاحبه سوءُ الخاتمة، البدعةُ في الدين، و كذلك إضمار الشك في الله و رسوله و اليوم الآخر، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر، و لا عاصم من أمر الله إلا من رحم، اللهم يا أرحم الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفَّانا مسلمين، و أن تلحقنا بالصالحين في عافية يا رب العالمين.

أسباب حسن الخاتمة

و اعلم أن العلماء نصوا على أن: كل ما ورد فيه من الأخبار دخول الجنة أو النجاة من النار، أو الموت على الإسلام، أو الجواز على الصراط، أو شفاعة النبي (ص) أو مرافقته أو الورود على حوضه (ص)، فكل ذلك من أسباب حسن الخاتمة، و كذا الشهادة الأخروية، و الموت على الإسلام، و الاستظلال بظل العرش يوم القيامة، و تفريج كربة من كرباته، و كل ما تضمن كرامة أخروية.

قال السيد الإمام أحمد بن علوي باحسن باعلوي – نفع الله به – في كتابه المقدم ذكره: و كذا ما يضاهي ذلك من المبشرات بحسن الخاتمة لمن وُفِّق للعمل بموجبه، كما نص عليه النووي و غيره من الأئمة؛ إذ الكرامة ثمة إنما ينالها من مات على الإسلام دون غيره. انتهى.

و ذكر من أسباب ذلك هو و غيره: الملازمة بعد كل صلاة قراءة الفاتحة و "**الم**" إلى "**المفلحون**" و "**إلهكم إله واحد**" الآية و آية الكرسي و "**آمن الرسول**" إلى آخر السورة، و "**شهد الله**" إلى "**العزيز الحكيم**" و يقول بعده: و أنا أشهد بما شهد الله به، و أستودع الله هذه الشهادة، و هي لي عند الله وديعة. "**إنَّ الدين عند الله الإسلام قل اللهم مالك الملك**" إلى "**بغير حساب**" و الإخلاص حشراً و المعوِّذتين مرة مرة. و ذكر ذلك أيضاً السيد العارف بالله تعالى عبد الله ميرغني فإنه ذكر أن هذه الأذكار من الأسباب الخاتمة بحصول حسن الخاتمة.

و منها: أذكار الوضوء، و من ذلك: صدقة السرِّ فإنها تطفئ غضب الرب، و تدفع ميتة السوء.

و منه: سبحان الله ملء الميزان و منتهى العلم و مبلغ الرضا و زِنَة العرش صباحاً و مساءً – ثلاث مرات.

و منه: زيارة رسول الله (ص) و سؤال الوسيلة.

و منه: السلام في يوم أو ليلة على عشرة أو عشرين مسلماً مجموعين أو فرادى، و إطعام اليتيم، و سؤال الجنة ثلاثاً، و الأذان اثني عشر سنة، و إخراج الأذى من

المسجد، و إسباغ الوضوء في الليلة الباردة، و الإهلال بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى، و الإتيان بسيد الاستغفار[13] صباحاً و مساءً، و إنفاق زوجين في سبيل الله؛ أي شيئين من كل شيء، و التحميد و الترجيع عند موت الولد، و موتُ الطفل للإنسان، و صلاة مائة شخص، أو أربعين ثلاثة صفوف على الميت، و الصبر عند الصدمة الأولى، و صيام ثمانية من شهر رجب، و صلاة أربع ركعات في الجامعة يوم الجمعة بسورة "الإخلاص"؛ في كل ركعة خمسين مرة، و رمي سهم أو صنعته في سبيل الله تعالى، و تعلُّم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله تعالى فيتعلّمهن أو يعلِّمهن.

و من ذلك: إحسان الوضوء ثم صلاة ركعتين؛ يقبل بقلبه و بوجهه عليهما و يقول: رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبياً، و الجلوس في مصلاه بعد صلاة الفجر ذاكراً حتى تطلع الشمس، و قراءة خواتيم سورة البقرة من ليل أو نهار و الموت من يومه أو ليلته، و قراءة "أسلمت نفسي إليك، و وجَّهت وجهي إليك، و فوَّضت أمري عليك، و ألجأت ظهري عليك؛ رغبة و رهبة إليك، لا ملجأ و لا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، و نبيك الذي أرسلت"، و في الرواية: "إذا أتيت مضجعك، فتوضأ ثم اضطجعْ على شقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم ... إلى آخره، و يجعلهُن آخر ما يتكلم به. و في رواية أخرى بلا ذكر الوضوء، و منه: اللهم أعطِ محمداً الدرجة و الوسيلة، اللهم اجعل في المصطفين صحبته، و في العالمين درجته، و في المقربين ذكره، و عقب كل صلاة قراءة **"قل هو الله أحد"**، و الاستغفار في رجب سبعين بالغداة و سبعين بالعشي بصيغة: "اللهم الغفر لي و ارحمني و تُبْ على)، و الأذان احتساباً سبعَ سنين، و عند ختم القرآن: "اللهم اختم لنا بخير و افتح لنا بخير"، و في السجود: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) إلى غير ذلك، و للإمام السيوطي – رحمه الله تعالى – في ذلك مؤلف سماه "أبواب السعادة في أسباب الشهادة" ختم الله لنا بذلك و لأحبابنا و المسلمين بلا محنة و لا فتنة آمين يا رب العالمين انتهى.

و في "بغية المسترشدين" ما نصه: فائدة نقل عن القطب الحداد أن مما يوجب حسن الخاتمة عند الموت أن يقول بعد المغرب أربع مرات: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت و أتوب إليه، رب اغفر لي.

13

وهو ما رواه شدَّاد بن أوس – رضي الله عنه – عن النبي (ص) قال: "سيِّد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني و أنا عبدك، و أنا على عهدك و وعدك ما التطعت، اعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، و أبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. مَن قالها في النهار موقناً فمات قبل أن يمسي، فهو من أله الجنة و مَن قالها من الليل و هو موقن، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة". رواه البخاري. كذا في "ذخيرة المعاد" فراجعه في 81 من هامش "عقد اليواقيت" ج 1. (منه).

و عن بعض العارفين: مَن قال بعد صلاة المغرب أيضاً قبل أن يتكلم: اللهم صلِّ على سيدنا محمد و على آله و صحبه بعدد كل حرف جرى به القلم (عشر مرات) مات على الإيمان. اه. "حدائق الارواح" لباسودان، "بغية المسترشدين". انتهى. 45 و فيه في موضع آخر:

فائدة نقلت عن الإمام الشعراني: أن من واظب على هذين البيتين في كل يوم جمعة توفاه الله تعالى على الإسلام من غير شك و هما:

إلهي لَسْتُ لِلْفِرْدَوس أَهلاً و لا أقوى على نارِ الجَحِيم

فهَبْ لي توبةً و اغفرْ ذنوبي فَإِنَّك غافِرُ الذنب العَظِيم

و نُقل عن بعضهم أهما يُقرآن خمس مرات بعد الجمعة (باجوري) فراجعه في سنن الجمعة في 77.

و فيه: فائدة: يُسنّ أن يقول بعد تكبيرة الإحرام: اللهم إني أعوذ بك أن تصدَّ عني وجهك يوم القيامة، اللهم أحيني مسلماً و أمتني مسلماً. و عند ختم القرآن: اللهم اختم لنا بخير. فكلا هذين ورد به الوعد لفاعلها بالموت على الإسلام. "حدائق الأرواح" فراجعه في 40.

و ذكر القطب أحمد ضياء الدين في مجموعة الأحزاب ما نصه: هذا حزب دعاء الفرج لأبي جعفر المنصور بتعليم الخضر عليه السلام، من دعى بهذا الدعاء صباحاً و مساءً هدمت ذنوبه و دام سروره، و محيت خطاياه، و استجيب دعاؤه، و بسط له في رزقه، و أُعطي أملَه، و أعين على عدوه ، و كتب عند الله صدِّيقا؛ و لا يموت إلا شهيداً: اللهمَّ كما لَطَفْتَ فِي عَظَمَتِكَ دُونَ اللطفاء، و عَلَوْتَ بِقُدْرَتِكَ على العظماء، و علمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، و كانت وساوس الصدر كالعَلانِيَةِ عندك، و علانيةُ القولِ كالسِّرِّ في علمك، فانقاد كل شي لِعَظَمَتِكَ، و خضع كل ذي سلطانٍ لسلطانك، و صار أمر الدنيا و الآخرة كلُّهُ بيدك؛ اجعل لي من كل همٍّ و غمٍّ أصبحت و أمسيت فيه فرجاً و مخرجاً، اللهم إن عَفْوَكَ عن ذنوبي و تجاوزك عن خطيئتي و سترك على عملي أطمعتني أن أسألك ما لا أسْتَوْجِبُهُ مما قصرت فيه، أدعوك آمناً و أسألك مستأنساً، و إنك المحسن إليَّ و أني لمسيء إلى نفسي فيما مضى بيني و بينك، تتودد إليَّ بنعمتك و أَتَبَغَّض إليك بالمعاصي، و لكنَّ الثِّقَةَ بك حَمَلَتْني على الجُرْأَةِ عليك، فَعُد اللهم بفضلك و إحسانك عليَّ إنك أنت الرَّؤُوْفُ الرحيمُ. اه. 37 ج 1.

و من الأسباب التي تسهل بها سكرات الموت و لا يذوق مرارته ما ذكره مؤلف "رماح حزب الرحيم" بما لفظه: و أما "السلام عليك أيها النبي ورحمةالله و بركاته" فمن بعض فضائله: أن مَن داوم على قراءته في كل يوم مائة مرة لا يذوق سكرات الموت.

و قد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله عنه؛ و أنا معه في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة و السلام: أن الشيخ – رضي الله عنه و أرضاه عنا به – كان يحضّ على ذلك و الدوام عليه و يقول: إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً.

قلت: قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات و هو ساجد في الصلاة. اه. 106 ج 2.

و في "المشرع الروي" نقلاً عن القطب سيدي عبد الله العيدروس – رضي الله عنه – :من قرأ آية الكرسي يثبِّت الله بها القلب لا سيما عند الموت. "تقريب الأصول".

فائدة: ذكر الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني – رحمه الله – في كتابٍ ذَكَر فيه جملة من الأذكار و الدعات، قال: و من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام: "إن ربك يقول: مَن قال دُبُر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة: (اللهم إني أُقدِّم إليك بين يدي كل نَفَسٍ و لحظةٍ و لمحةٍ و طرفةٍ يطرف بها أهل السماوات و أهل الأرض و كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أُقدِّم إليك بين يدي ذلك كله "**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**..." إلى "**العلي العظيم**"، فإن الليل و النهار أربعة و عشرون ساعة ليس فيها ساعة إلا يصعد إليَ فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور، و تشتغل الملائكة بذلك؛ و هذا ما أوصى به الشيخ محيي الدين – قدس سره – في الباب السادس و الخمسين من "الفتوحات"؛ قال: و كذلك تقول في إثر كل صلاة فريضة قبل الكلام: اللهم إني إقدم إليك بين يدي كل نَفَس ... إلى آخر ما مرَّ. انتهى ذَكَرَهُ الكوراني[14].

و قد وقع السؤال عن قوله: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نَفَس. إلى آخره. ما المراد منه؟

فأجبت: إن المراد تكثيرُ المضاعفة و التحصين؛ بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذَّر حصرها، و من الثواب الجزيل و الكرامة لقارئها في الدنيا و الآخرة كائن و واقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر لها تقدير في الزمن، فتستغرق تلك اللحظات جميعَ الأوقات في الحفظ، و ما فيها من الثواب من كل ما ورد، و اختصت به مما عُلم، و مما لم يعلم، يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن لتشمل الإحاطة و التحصن و الحفظ و الثواب العظيم، فيكون ذلك معدوداً و معدّا له بين يدي تلك الآنات و الشيئات.

و يؤيد هذا المفهوم ما ذكره أحمد السجاعي المصري في شرحه على "حزب الإمام النووي" على قوله: و أقدم بين يدي و أيديهم بسم الله الرحمن الرحيم "**قل هو الله أحد**..." إلى آخرها، أي : اجعل ذلك مقدماً في التحصين و الإحاطة انتهى. "ذخيرة المعاد" 84 راجعه من هامش عقد اليواقيت ففيه كلام آخر في ذِكر معنى ما ذُكر.

و في "تنوير الصدر شرح حزب البر": قال الترمذي: خلصنا حساب ليلة ثمانمائة ألف ألف و أربعين ألفاً و بالنهار مثله، فذلك ألفُ ألفِ ألفِ و ست مائة ألف ألف؛ هذا في اليوم و الليلة، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك. 123 من هامش "مجموعة الأحزاب" ج 1.

---

[14] قاله صاحب "ذخيرة المعاد" في صحيفة 84. "هامش الاصل".

و ما قاله الشاذلي في حزب البر هكذا: (و كل شيء هو في علمك ... إلخ)، بدل من (كل شيء) في الحديث المذكور، و فسر لذلك صاحب "تنوير الصدر" هكذا، و أقِّدم إليك قبل كلٍّ – بالجر عطف على "كلّ" الأولى – شيء هو في علمك. انتهى. فراجعه و تدبره في 119 من هامش "مجموعة الأحزاب".

هذه فائدة عظيمة:

باسم ربي و الصلاة و السلام	للنبي ثم للآل الكريم
بعد هذا، فاستمعنا يا همام	نذكر تسبيح ربي باهتمام
قد أتينا بالنقول عن إمام	رحمة الله عليه و السلام
قد رأى اللهَ تعالى في المنام	بعد تسعين و تسع بالتمام
قال فيه: مَن يسبح يا إمام	بالغداة و العشي بالدوام
خالصاً تسبيح آتٍ في الكلام	فهو ناج من عذاب بالسلام
فهو تاج رأس حقي و المرام	ذكر تسبيح الإله في الختام

هذه هي التسبيحات المنجية: بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان رافع السماء بغير عمد، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد، سبحان من خلق الخلق و أحصاهم عدد[15]، سبحانه من قسم الرزق و لم ينس أحداً، سبحانه الذي لم يتخذ صاحبة؛ و لا ولداً، سبحان الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد. انتهى. من كتاب ألفه سليمان حقي 44. (راجعه).

حكى إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر، فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح و لم ير أحداً فقال: من أنت؟ أسمع صوتك و لا أرى شخصك، فقال: أنا ملك من الملائكة موكَّل بهاذا البحر، اسبِّح الله تعالى بهذا التسبيح مذ خلق. فسأله عن ثواب مَن قال هذا التسبيح، فقال: مَن قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يُرى له؛ و هو هذا: سبحان الله العليِّ الديّان الشديد الأركان، سبحان من يذهب بالليل و يأتي بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن، سبحان الله الحنّان المنّان، سبحان الله المسبَّح في كل مكان. كذا في "مصباح الظلام" فراجعه في 32.

البرج الرّابع

في بيان درجات شوائب الرياء و الآفات المكدرات للإخلاص

فلما كان معرفتها للسالك و لغيره من المهمّات، و كان ذكر الرياء في مسألة السائل؛ اردت أن أورد هنا نبذة يسيرة لا بدَّ لكل أحد من اطِّلاعها و التدبر لما فيها، فالكتب، وإن كانت مشحونة بذكر الرياء و غيره من الآفات المحبطة للعمل، لكنها لا يظفر عليها كل أحد، و أرجو الله تعالى أن يوصل إلى هذا الكتاب نظرة موفق فيعمل بما فيها و لو بأدنى شيء، و الله الموفِّق لكل خير، و المحوِّل عن كل شر.

---

15 كذا في الأصل؛ فافهم (منه). وجه الفهم: علّه يحذف الحركة و التنوين لضرورة الفاصلة و السجع؛ إذ الفاصلة في النثر بمنزلة القافية في الشعر. كذا في كتب العروض.

قال حجة الإسلام الغزالي – رحمه الله – في "الإحياء": اعلم ان الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جليٌّ و بعضها خفيٌّ، و بعضها ضعيف مع الجلاء، و بعضها قوي مع الخفاء، و لا يفهم اختلاف درجاتها في الخناء و الجلاء إلا بمثال، و أظهر مشوشات الإخلاص الرياء، فلنذكر منه مثالاً فنقول:

درجات الرياء

الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته، ثم نظر إليه جماعة او دخل عليه داخل، فيقول له: حسّن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار و الصلاح و لا يزدريك و لا يغتابك، فتخشع جوارحه، و تسكن أطرافه، و تحسن صلاته، و هذا هو الرياء الظاهر، و لا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين.

الدرجة الثانية: يكون المريد قد فهم هذه الآفة و أخذ منها حذره، فصار لا يطيع الشيطان فيها و لا يلتفت عليه و يستمر في صلاته كما كان، فيأتيه في معرض الخير و يقول: أنت متبوع و مقتدى بك و منظورٌ إليك، و ما تفعله يؤثر عنك و يتأسى بك غيرك، فيكون لك ثواب اعمالهم إن أحسنت، و عليك الوزر إن أسأت، فأحسن عملك بين يديه فعاساه يقتدي بك في الخشوع و تحسين العبادة؛ و هذا أغمض من الأول، و قد ينخدع به من لا ينخدع بالأول، وهو أيضاً عين الرياء و مبطل للإخلاص، فإنه إن كان يرى الخشوع و حسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه، فَلِمَ يرضَ لنفسه ذلك في الخلوة؟! و لا يمكن أن تكون نفس غيره أعزَّ عليه من نفسه، فهذا محض التلبيس، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه و استنار قلبه فانتشر نوره على غيره، فيكون له ثواب عمله، فأما هذا! فمحض النفاق و لاتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه، و أما هو فيطلب بتلبيسه و يُعاقَب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاًبه.

الدرجة الثالثة؛ و هي أدقُّ مما قبلها: أن يجرِّب العبد نفسه في ذلك، و يتنبَّه لكيد الشيطان، و يعلم ان مخالفته بين الخلوة و المشاهدة للغير محضُ الرياء، و يعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ، و يستحي من نفسه و من ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائدا على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة و يحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ، و يصلي في الملأ أيضاً كذلك، فهذا أيضاً من الرياء الغامض، لأنه حسَّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ؛ فلا يكون قد فرق بينهما، فالتفاته في الخلوة و الملأ إلى الخلق، بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته و مشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، و يظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء و الملأ و هيهات!! بل زوال ذلك بأن لا يلتفتَ إلى الخلق كما لا يلتفتُ إلى الجمادات في الخلاء و الملأ جميعاً، و هذا من شخص مشغولِ الهمِّ بالخلق في الملأ والخلاء جميعاً، و هذا من المكائد الخفية للشيطان.

الدرجة الرابعة؛ و هي أدقُّ و أخفى: أن ينظر عليه الناس و هو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له: أخشع لأجلهم. فإنه يعرف أنه قد تفطَّن لهذا، فيقول له الشيطان: تفكَّر في عظمة الله تعالى و جلاله و من أنت واقف بين يديه، و استح من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه، فيحضر لذلك قلبه و تخشع جوارحه، و يظن أن ذلك عين الإخلاص، و هو عين المكر و الخداع، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، و لكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره، و علامة الأمن من هذه

الآفة: أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الجلوة، و لا يكون حضور الغير هو السبَبَ في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً، فما دام يفرِّق في أحواله بين مشاهدة إنسان و مشاهدة بهيمة؛ فهو بعدُ خارجٌ عن صفو الإخلاص، مدنّسُ الباطنِ بالشرك الخفي من الرياء، و هذا الشرك أخفى في قلب (ابن) آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء؛ كما ورد به الخبر، و لا يسلم من الشيطان إلا من دقَّ نظره، و سعد بعصمة الله تعالى و توفيقه و هدايته، و إلا! فالشيطان ملازم للمتشمرين بعبادة الله تعالى، لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات؛ حتى في كحل العين، و قص الشارب، و طيب يوم الجمعة، و لبس الثياب، فإن هذه سُنَنٌ في أوقات مخصوصة و للنفس فيها حظ خفي، لارتباط نظر الخلق بها، و الستئناس الطبع بها، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك؛ و يقول: هذه سنة لا ينبغي أن تتركها. و يكون انبعاث القلب باطناً فيها لأجل تلك الشهوة الخفية، أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حد الإخلاص بسببه، و ما لا يسلم عن هذه الآفات كلها ليس بخالص، بل يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس به الطبع، فالشيطان يرغبه فيه و يكثر عليه من فضائل الاعتكاف، و قد يكون المحرِّك الخفي في سره و هو الأنس بحسن صورة المسجد و استراحة الطبع إليه، و يتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر، و كل ذلك امتزاج بشوائب الطبع و كدورات النفس، و مبطل حقيقة الإخلاص. لعمري الغشّ الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة! فمنها ما يغلب، و منها ما يقل، لكن يسهل دركه، و منها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير، و غش القلب، و دَغَل[16] الشيطان، و خبث النفس، أغمض من ذلك و أرق كثيراً.

ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل

و لهذا قيل: ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل. و أريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها، فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة و اغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموّه و استدارته؛ و هو مغشوش زائف في نفسه، و قيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغِرُّ الغبيّ، فهكذا يتفاوت أمر العبادات، بل أشد و أعظم، و مداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها و إحضاؤها، فالينتفع بما ذكرناه مثالاً، و الفطن يغنيه القليل عن الكثير، و البليد لا يغنيه التطويل أيضاً؛ فلا فائدة في التفصيل انتهى 298 ج 4.

---

[16] الدقل: الفساد. "مختار" (هامش الأصل).